شطرنج

صفاء حسين العجماوي

رواية

GROTTA
WWW.GROTTA.COM

جميع الحقوق محفوظة © دار المغاره للنشر الإلكتروني

www.grootta.com

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

اسم الكتاب : شطرنج

اسم المؤلف : صفاء حسين العجماوي

مصمم الغلاف : محمد ايهاب

لا يجوز اقتصاص أي جزء من هذا الكتاب بهدف إهدار حقوق الملكية الفكرية أو إعادة إنتاجه بشكل مادي أو معنوي

وإلا يعرض نفسه للمسائلة القانونية .

(رواية)

شطرنج

صفاء حسين العجماوي

إهداء

إلى إخوتي الثلاثة أبطال روايتي الأساسيين (ماجد سامي)، (أمجد عبد المجيد) و(مؤمن دياب).. أهديكم هذه الرواية كهدية شكر لوجودكم في حياتي؛ فأنتم نعم الإخوة. دمتم بخير وسعادة.

إلى أخي العزيز (أحمد علي) وولديه (يونس) و(يحيى).. دمتم نعم العائلة والسند، وفرحة العمر.

"شكر خاص "

- ✓ لصفحة (فانتازيون)، والتي استضافت الرواية على هيئة حلقات مسلسلة على مدار عدة أشهر.

الرابط: facebook.com/Fantasians

- ✓ للأصدقاء (أحمد مكي)، (فاطمة سيد)، (إبراهيم فايد)، (إيمان عبد الشهيد)، (سعاد عمر – اليمن)، (أحمد الحداد)، (محمد جمال فريج)، (أحمد سيد رفيق)، (الطيبة آدم)، (عمر أحمد حسين)، (عتيقة بويج – المغرب)، (محمد جودت – سورية)، (زكريا حجاج)، (سوسن فودة)، (دينا عبد الرحيم)، (لطيفة محمد منصوري – المغرب)، (رانيا وليد)، (ريهام سمير)، (نادين حمادة)، (محمد حاتم)، (حنان كمال علي)، (زينات يوسف)، (موني الصفتي)، (منى عمر).

- ✓ لمصمم الغلاف (محمد إيهاب فوقي).

- ✓ لأختي الغالية (رباب حسين العجماوي).

- ✓ للمجموعة الثقافية (أسرار الكتب).

الرابط: facebook.com/groups/Asrar.Elkotob

- ✓ للمدققة (هبة النجار)، والمدقق (إسلام على).

مقدمة :

كتبتُ (شطرنج) على هيئة حلقات مسلسلة على صفحة (فانتازيون) التابعة لرابطة فانتازيون؛ في محاولة لتعريف القارئ بنوع من الأدب غير منتشر بشكل كبير، ألا وهو الفانتازيا. في البداية كانت تصدر أسبوعيًا، تجاوَبَ عددٌ لا بأس به وطالبوا بزيادة الحلقات، فأصبحتْ مرتين أسبوعيًا. عادت المطالب بزيادة عدد الحلقات، فأصبحت يومية.

أردتُ في شطرنج أن أُدخل بعض البهجة على قلوب بعض أصدقائي المقربين؛ باختيار شخصياتهم لتؤدي دورها داخل الرواية، وبذلك نجد كل البشر الموجودين بالرواية هم أشخاص حقيقيين، وليس هذا فحسب ولكن ببعض سماتهم الشخصية في الواقع أيضًا، لتصبح الرواية جزءًا لا يتجزأ منهم.

وأخيرًا ربما ظنَّ البعضُ أن الرواية تحتاج لقراءتها لمن يعرف قواعد الشطرنج، ولكنها في الحقيقة لا تحتاج منك سوى خيالًا متحررًا؛ فنحن نغوص في عالم من عوالم الفانتازيا، فإلى هناك.

صفاء حسين العجماوي

في عالم متشابك الأسلاك، كانت الإلكترونات تمرح فيه كما تشتهي دون رقيب أو حسيب؛ فهي بعالمها ومملكتها الخاصة، لا سلطان عليها من أحد سوى....

دوَّى النفير من اللامكان. اصطف الجميع باحترام؛ فالسيد يريدهم لأمر هام. يبدو أن الأمر جلل؛ فالسيد بنفسه يلقي الأمر هذه المرة! إنه يريد شيئًا ثوريًا سيقلب العالم رأسًا على عقب، ولكن لا رد لأمر السيد، فوجب التنفيذ.

صفاء حسين العجماوي

* 1 *

جلس أمجد أمام حاسوبه منذ خمس وعشرين ساعة، لم تكف أصابعه عن الطرق على أزراره بسرعة، ولم تفارق عيناه شاشته الصغيرة. تكدست أكواب الشاي وأقداح القهوة على الطاولة الصغيرة عن يمينه. طرقات قصيرة منغمة على باب غرفته تُعْلمه بقدوم رفيقه ماجد. أذن له بالدخول دون أن تحيد عيناه عن شاشته. تذمر ماجد من عدم نظافة الغرفة، ودون أي رد فعل من أمجد كان ماجد يعيد ترتيب الغرفة لتصلح لمعيشة البشر بكل هدوء، ولكن محمل بقدر كبير من السخط والضيق. ما إن انتهى ماجد حتى أمسك أمجد من كتفيه، وحمله للمقعد المقابل للطاولة حيث أعد له الفطور. كان أمجد مستسلمًا لماجد الذي يطعمه كطفل صغير لا يبذل أي مجهود سوى مضغ الطعام.

ربع ساعة وكان أمجد يغط في نوم بلا أحلام، بينما جلس ماجد يكمل ما بدأه أمجد. ارتفع حاجباه اندهاشًا مما رأى؛ يبدو أن أمجد صمَّم لعبة شطرنج غريبة. أثارت اللعبة فضول ماجد العاشق للشطرنج وصاحب المركز الأول على جامعات مصر في تلك اللعبة. ضغط على أمر الدخول ليجد دوامات من البيادق والأفيال والأحصنة تدور حول نفسها على شكل إعصار مقلوب متجهةً نحوه. التفت حوله مكونةً حصارًا لا فكاك منه، تأمره بالذهاب في الممر المكوَّن من الجنود دون إبطاء.

سار ماجد أسيرًا لفضوله مستكينًا حتى مَثُل أمام الملك ووزيره. كان الملك يجلس على عرش كرستالي، وممسكًا بصولجان ذهبي. يحمل على رأسه تاجًا ضخمًا من الذهب المزين بالأحجار الكريمة. عن يمينه وقف وزيره الصموت فارع الطول المتجهم الملامح. لم يُعِر الملك ماجد أي اهتمام؛ فقد كان يدرس مع وزيره الرد على رسالة الملك الأسود. لقد جن بالتأكيد!

ظل ماجد صامتًا لبرهة، غير أنه لم يحتمل أن تتم معاملته بهذه الطريقة، فصرخ فيهم: أين أنا أيها الأحمقان!؟

رفع الوزيره حاجبيه تعجبًا من وقاحة الأسير. بينما صرخ الملك في الحراس أن يقتلوه. تحلّق الجنود حول ماجد، الذي نظر لهم بسخرية، وبحركة واحدة أطاح بهم جميعًا، وخطا بسرعة ليمسك الملك من تلابيبه، غير أن جسمه انتفض إثر ملسة الصولجان لرأسه.

أسقطه الملك أرضًا، ثم وجَّه الصولجان لقلبه، وقبل أن يلمسه همس الوزير: مولاي، هل لي برأي؟

رفع الملك الصولجان، وأشار له أن يتحدث. قال الوزير بهدوء: أرجو منك يا مولاي الإبقاء على حياة الأسير؛ فلربما احتجنا إليه في التصدي للملك الأسود.

هز الملك رأسه بالموافقة، وعاد إلى كرسيه بعظمة وخيلاء. أشار الوزير لمجموعة من الطابيات من الحرس الملكي الكرستالي بحمل الأسير إلى سجن المملكة الكرستالية، ووضعه تحت الحراسة المشددة.

* 2 *

في سجن المملكة الكرستالية كل شيء مكونٌ من الكرستال فائق النقاء متعدد الألوان. لقد فاقت العشرين لونًا متداخلين في تراكيب هندسية عجيبة. حُبِس ماجد داخل كرستالة متعددة التعرجات تعكس الضوء خارجها طوال الوقت، لتجعله كالأعمى لا يرى أي شيء. كاد يجن في محبسه المظلم. حاول تحرير نفسه أكثر من مرة، غير أنه وجد يديه وقدميه مقيدة بأغلال من البلور الشفاف غير القابل للكسر، والتي وا أسفاه لا يراها! لم يترك أي منفذ للهروب من تابوته البلوري دون أن يجربه، إلا أن جميع محاولاته كانت بلا جدوى. لقد طرق كل مهرب خطر على باله، ولكن هذا لم يزده إلا تقليصَ قيودِه لتلحمه في جدران بلورته. لم يحتمل أكثر من ذلك، فصرخ بقوة آلمت الكرستال المحيط به، فبدأ يتململ بصوت كالكسر التقطته أذنا ماجد المرهفة بفعل هذا الظلام.

ظن ماجد أنها طريقة تحريره من تلك المقبرة، فأخذ يصرخ بقوة وقسوة حتى كادت أحباله الصوتية أن تنقطع. كان تململ الكرستال يزيد والقيود تتحطم، والسجن يتسع. تحرر ماجد داخل البلورة. زادت حماسة ماجد مع بصيص الضوء المتسرب من الجدران المتباعدة عن بعضها. دفع يديه خلال الفرجة بين الجدارين القريبين منه، وباعد بينهما ليسمح لبقية جسده بالخروج، غير أن الجدارين أطبقا على يديه، فصرخ بقوة، فتباعد الجدارين، ليسحب كفيه المحطمي العظام. أثار تحطم كفيه نيران غضبه، فلم يكف عن الصراخ، وضرب الجدران بقدميه. عادت الجدران تتفارق، ثم ظهرت أخرى ذات شفرات حادة، كما تبدلت الأرضية بأخرى مسننة. تقاربت الجدران الجديدة تجاه ماجد الدامي القدمين الواقف بشموخٍ غير مهتم بما سيسفر عنه اختراق الجدران لجسده.

بينما كان ماجد يواجه خطر الموت، كان الوزير (كريس) والملك (كرستال) يشاهدان كل ما يحدث له على شاشة بلورية في الغرفة الصغيرة الملحقة بقاعة العرش. أمر الملك بإيقاف الجدران، والإتيان بالأسير في الحال. تحرك رئيس الحرس الملكي الكرستالي الفيل (كرستيانو)، ونائبه الاستثنائي الحصان لتنفيذ الأمر.

وقف الملك، فانحنى له الوزير احترامًا. أشار الملك للوزير بأن يصحبه إلى قاعة العرش الكرستالي. جلس الملك على عرشه، وعقله شارد في أفكاره، فالتزم وزيره الصمت احترامًا. قطع شرود الملك قدوم ماجد مُكبّلًا بأغلالٍ بلورية مسننة، يمسك به فيلان من قادة الحرس الملكي الكرستالي. كل منهما يلف خرطومه على إحدى يديه، وهو يقاومهما بشراسة. بإشارة من طرف إصبع الملك تركه الفيلين، وبأخرى من طرف صولجانه تجاه قيوده سقطتْ وهو معها أرضًا. رفع ماجد عينيه إلى الملك متحديًا، وهو يعتدل واقفًا بقامة مشدودة متناسيًا آلامه. أُعجب به الوزير سرًا لكن ملامحه الجامدة لم تفصح عن شيء.

قال الملك بعظمة مبالغ فيها: فلتجلس أيها الأسير.

رد ماجد بغضب: لستُ أسيرًا لأحد! ولن أجلس قبل أن أعرف لِمَ أنا سجين هنا؟ بل أين أنا بالضبط؟

لم يجبه الملك فورًا، بل قام حصانان من رؤساء كتائب الحرس الملكي برفعه، وأجلساه على مقعد بلوري شفاف، ثم أحكما وثاقه بلفّ شعرهما الطويل أحدهما حول يديه والآخر حول جذعه حتى لا يتحرك. لقد تمكنا من شلّ حركته بالكامل! ابتسم الملك بوقار مشيرًا لوزيره ليجيبه.

تنحنح الوزير، ثم قال برزانة: يبدو أنك لا تعي أنك قد ظهرت بغتةً على أبواب مملكتنا الكرستالية دون مقدمات. كما أنك لابد أن لاحظت أنك مجهولٌ لنا بالكامل. ولأننا على أعتاب حرب مقدسة، فلا مجال للتهاون بشأن أيٍّ من كان؛ فلربما كنتَ جاسوسًا للملك الأسود أو الملك الأحمر، أو أنك انتحاري جئت لهدم مملكتنا من الداخل، أو ....

قاطعته ضحكة ماجد الملجلجة، فأكمل بغضب: كما أنك تعديتَ الخطوط الحمراء لسجنك، فكدتَ تهدم جدرانه على رأسك. لولا رحمة الملك (كرستال) لكنتَ ميتًا الآن.

نظر له ماجد باستخفاف سائلًا: ولِمَ رحمني!؟

أجابه الملك بفضول: لأنكَ أولُ سجينٍ يصل لتلك المرحلة؛ فجميعهم يحاول الفرار لعدة مرات فيصطدم بإحكامه عليه، فيفقد الأمل، ومن ثم بصره، وأخيرًا يموت بعد مدة وجيزة؛ وهذا دفعني لأعرف من أنت.

ابتسم ماجد بسخرية، ولم يُجِب؛ في محاولة لاستفزاز الملك، الذي أمر رجاله بالذهاب به إلى الجناح الطبي الملكي بالبيمارستان الكرستالي. هنا لم تكن المفاجأة من نصيب ماجد فقط؛ فقد تجلّت الدهشة على ملامح الوزير في أول مرة منذ رُقِّي إلى هذه المرتبة.

* 3 *

مبنى شامخ من الكرستال الشفاف، كُتِب عليه (البيمارستان الكريستالي)، والذي يشبه البيمارستانات السلطانية باتساعها وتقسيماتها [بيراماستان: كلمة فارسية بمعنى المشفى، وقد كانت منتشرة في أقطار المدن الإسلامية قديمًا]. كان ماجد المحمول على المحفة الطبية قد تناسى غضبه، وترك لنفسه العنان لتأمل ما حوله. كان العاملون يشتركون في كونهم مصنوعين من الكرستال الأخضر والفيروزي. العساكر هم الحراس وعمال النظافة، الأخضر عامل نظافة، والفيروزي حارس. الطابيات هن الممرضات والإداريات يفرق بينهما الأخضر إدارية والفيروزي ممرضة. الأحصنة هم الأطباء، وجميعهم باللون الأخضر. أما الأفيال فهم رؤساء الأقسام، وجميعهم باللون الفيروزي. في حركات آلية رتيبة يسير الجميع كلٌ إلى وجهته.

وعلى خلاف ما رأى ماجد من أطقم طبية خضراء وفيروزية، وجد نفسه قد سُلِّم إلى طاقم تمريض متعدد الألوان، ونُقِش على أجسادهم [الطاقم الملكي]. نقلوا ماجد إلى محفة بلورية شفافة، ما إن استلقى عليها حتى تغيرت ألوانها بسرعة رهيبة، ثم استقرت درجات اللون الأحمر تحت المناطق المصابة لتتناسب درجة الاحمرار مع درجة الإصابة. كانت يداه الأشدَ ضررًا تليها قدماه. أسرع الطاقم بحمله إلى الجناح الملكي. استقبلَه فيل ضخم كُتِب عليه [رئيس قسم الكسور]، ويبدو أن الضخامة تتحدد من حجم القسم؛ فخلفه وقف فيل أصغر حجمًا كتب عليه [رئيس قسم الجروح]. في غرفة عمليات ملكية تشع ألوانًا وأضواءً قوية من جدرانها أدخلوه، وعلى سرير طبي ضخم ذي نقوش بديعة أرقدوه. لمس فيل صغير كُتِب عليه [رئيس قسم التخدير] رأس ماجد بطرف خرطومه، فسرق وعيه من فوره، ليدخل في دوامة من الضباب الأسود والرمادي.

فجأة انقشع الضباب لتظهر رؤى غائمة لقاعة حكم من الياقوت الأحمر. على الدرجات الحمراء المتصدرة القاعة عرشٌ ياقوتيٌّ مطعم بالفضة استوى عليه الملك (الأحمر) يصرخ في وزيره بسرعة التحرك استعداداً للمعركة المقدسة؛ فقد حُدِّد النزال الآن. سيأخذون المملكة الكرستالية على حين غرة، والتي شغلت نفسها بالاستعداد لقتال الملك (الأسود). عاد

الضباب الرمادي والأسود لبرهة، ثم أفاق ماجد ليجد نفسه سليمًا معافى الجسد، غير أنه وجد صولجان الملك (كرستال) مُسلطًا على رقبته، وملامح الملك تشي بقرب نهايته.

لم يُحرِّك ماجد ساكنًا، تاركًا للملك البدءَ بالحديث، غير أن الثاني لم يُرِد البدء في الحديث، وعمد إلى غرس رأس صولجانه في رقبته، فأدماها. تجاهل ماجد جرحه، بل إنه بادل الملك نظرات التحدي بأخرى أعند منها وأشرس.

مما حدا بالوزير (كريس) للتدخل قائلًا: مولاي الملك (كرستال) المعظم، دعنا نعرف منه تفسيرَ ما رأيناه أولًا.

خفَّف الملك من ضغط صولجانه، وقال بنزق: فلتبدأ باستجوابه في الحال!

هز الوزير رأسه إيجابًا، ثم التفت إلى ماجد سائلًا: ما هذا الذي رأيناه يدور بعقلك؟

سأله ماجد بلا مبالاة: عَمَّ تسأل أيها الوزير؟ فأنا لم أفهمك مع الأسف.

أجابه الوزير بصبر: بينما كان الفريق الطبي يقوم بمداواتك، كنتَ أنتَ تُشاهد حَدَثًا يدورُ في قاعة حكم الملك (الأحمر). هل هذا صحيح؟

هز ماجد رأسه بالإيجاب، وهو يقول بإهمال: أجل هذا ما شاهدته أثناء خضوعي للتخدير، وهذا لا يعني أنه صحيح، بل هو لا يعني شيئًا على الإطلاق إن شئت الدقة.

زمجر الملك، بينما أكمل الوزير أسئلته: هل تعني أنك لم تكن هناك؟

أجابه ماجد بضيق: بل قل إنها مجرد خرافاتِ شخصٍ خاضع للمخدر لا أكثر ولا أقل. لِمَ تضخمان الموضوع!؟

أجابه الملك هذه المرة: لأننا على شفا حربٍ مقدسة بين الممالك للجلوس على كرسي سيد الممالك الكُرية. هل فهمت؟

* 4 *

سأله ماجد بعجب: ماذا تعني بـ(سيد الممالك الكُرية)؟

رد الملك بضيق: إننا قادة ممالك تعيش على سطح الكرة، تسمى (اتحاد ممالك السطح)، بينما هناك ممالك أخرى تعيش في باطن الكرة تُعرف بـ(الممالك الجوفية). سنويًا يتم انتخاب سيد الممالك الكُرية، فإن كان الفائز من ممالك السطح ظل الوضع كما هو ، أما إذا فاز ملك من مملوك الممالك الجوفية عُكِس الوضع، ويبدو أن هذا العام لم يُعجب الممالك الجوفية فوزَ ممالك السطح، فأعلنوا انسحابهم من الاتحاد تمهيدًا لنشوب حربٍ مقدسة، الطرف الغالب يسكن سطح الكرة، وقائد جيوش الممالك الفائزة يعتلي عرش سيد الممالك الكروية. هل فهمت الآن؟

رد ماجد بعجب: أجل فهمت!

ثم سأل بضيق: ولكن ما علاقتي أنا بهذا كله!؟

رد الوزير بسرعة محمومة: هناك نبوءة تقول «إن هُدِّد الاتحاد بالانفصال، وأصبحت الممالك على شفا الحرب المقدسة، يظهر شابٌ غريب عن الممالك المتحاربة، يملك قوة، من يكسبه في صفه يكسب الحرب، ويجلس على العرش».

سأله ماجد باهتمام: وهل تظن أن النبوءة تعنيني أنا ؟

أجابه الملك بنزق: لا يهم إن كانت تعنيك أم لا .. لا يهم إن كانت صادقة أم لا .. لا يهم إن...

قاطعه ماجد باستخفاف سائلًا : وما هو الهام برأيك؟

أجابه الوزير هذه المرة بحدة: أن لا تكونَ جاسوسًا علينا .

ضحك ماجد بسخرية، ثم قال: بل الهام إشاعة أن الشاب الذي تحدثتْ عنه النبوءة في صفكم لتُرهِبوا أعداءكم. أليس كذلك؟

رفع الملك صولجانه عن رقبته، ورد بحسم: أجل هو ذلك، ولكن رؤياك أثارت حيرتي.

رفع ماجد حاجبيه مندهشًا ، فقال الوزير مفسرًا : إن رؤياك إما هي إشارة لكونك جاسوسًا .

قاطعه ماجد بصوت استنكاري، فتجاهله الوزير مُكملًا: وإما أنك الشاب المقصود بالنبوءة، وهذا يعني أن سلاحك هو كشف ما يدور بالممالك المعادية.

سأله ماجد بلا مبالاة: وكيف ستكتشفان الحقيقة؟

فرقع الملك إصبعيه، وهو يشير لطاقم طبي يرتدي زِيًّا أسود اللون قائلًا: هذا يستدعي خضوعك لاختبارات خاصة.. هيا!

* 5 *

حمل الطاقم الطبي ماجد على محفة سوداء، ما إن استلقى عليها حتى تحولت إلى قفص من الكرستال الأسود. كان الملك يتوقع ثورة من ماجد، ومحاولته لتكسير القضبان. غير أن ماجد ترك جسده يسترخي بلامبالاة غريبة أثارت حيرة الجميع. بينما كان الكل منشغلًا في تفسير تصرف ماجد كان الأخير منغمسًا في أفكاره. بحار من الحيرة القلقة تتلقفه بين أمواجها الثائرة.

هل حقًا هو ماجد الطالب الجامعي الحاصل على المركز الأول في لعبة الشطرنج على مستوى الجامعات المصرية؟

هل هو حقًا سجين قطع الشطرنج التي طالما عشقها، وأجاد التعامل بها؟

كيف لقطعٍ كان يراها تتحرك على رقعتها كيفما يشاء أن تصبح هي المتصرفة في أمره!؟

ماذا تعني تلك الرؤية التي غزت عقله المخدر؟

أتراها حقيقة واقعة أم مجرد خرافات عقلٍ غابَ في دومات اللاوعي؟

وإن كانت حقيقة، هل هي ماضٍ أم حاضر أم مستقبل؟

ماذا لو كانت حقيقة؟ هل سيعتبرونه جاسوسًا أم صاحب النبوءة؟

ماذا سيفعل إن حكموا عليه بالجاسوسية؟

كيف سينجو من وحشيتهم؟

لقد لمس قسوتهم في السجن الكرستالي!

ماذا سيفعل إن أقروا بأنه صاحب النبوءة؟

هل سيساندهم أم يعاديهم؟

وكيف يكون صاحب النبوءة!؟

فهو لا يملك سلاحًا خاصًا يمكنه كسب الحرب!

أم تراه يملكه وهو لا يدري؟

هل تلك الرؤى هي سلاحه حقًا؟

من أتى به إلى هذا العالم المختل؟

أمجد! سأقتلك أيها المخبول! فأنت من أتيت بي إلى هنا، حيث الجنون سيد هذا العالم!

كان ماجد غارقًا في حيرته، عندما وجد أشعة فسفورية متعددة الألوان تهبط من سطح سجنه لتخترق رأسه. أشعة مختلفة الحرارة، كل لونٍ له حرارته، أشدهم الأحمر، لطالما بغض ماجد هذا اللون، وها هو ذا يعرف لماذا؛ أما أكثرهم برودة فهو الأزرق، لقد أحبه ماجد كثيرًا؛ لطالما بعث في نفسه الهدوء والطمأنينة. كانت الأشعة تعزف على خلايا مخه بإيقاعٍ حراريٍ منتظم أنهك مخه، فبدأ وعي ماجد يتسرب منه مع تزايد نبضات الألم السارية في سياله العصبي.

* 6 *

كان الملك (كرستال) يجلس على بعد خطوات من ماجد أمام شاشة مقعرة تحمل ذكرياتَه في شريطٍ مسلسل، وكأنها فيلمٌ من مقاطع لا يربطها إلا البطل المتدرج في العمر من مقطع لآخر. في حين كان الوزير (كريس) يشرف على طاقم الاستجواب خوفًا على حياة الأسير الفاقد للوعي، وإن كان رعبُه من أن تُتلِف الأشعة مخه يثير جنونه. لقد تمادى الملك كثيرًا في الشك به. هذا الشاب الشجاع المُسجَى أمامه، وعلى ملامحه رُسِمت أعتى صور الألم، وجسده يهتز بقوة متشنجًا، لا يمكن أن يكون جاسوسًا!

حاول الوزير التخفيف من آلامه بأن يقلل من قوة الأشعة، غير أن الملك صرخ بقوة مناديًا عليه. أقبل الوزير مرتعشًا خائفًا من بطش الملك. غير أن الملك لم يهتم بذلك، بل أشار إلى الشاشة أمامه، ليلتفت الوزير إليها فاغرًا فاه من العجب.

على الشاشة ظهر ماجد في غرفة أمجد صديقه، ليمر أمامهم آخر لقاءٍ تم بينهما، حتى ولوج ماجد إلى حاسوب أمجد، ثم انقطعت المشاهد لتصير الشاشة بلون الكرستال الشفاف. فزع الوزير وركض تجاه الطاقم الطبي، الذي ارتبك أمام ماجد الذي تحول جلده إلى اللون الأزرق، وجسده ينتفض بقوة، ودموعه تختلط بمادة رغوية خارجة من فمه، تسيل على خده لتمتزج بدمائه الخارجة من أذنه. لم ينتظر الوزير أوامر الملك، فأمر الطاقم بوقف الأشعة، ونقله إلى غرفة العناية الفائقة. نظر رئيس الفريق إلى الملك، الذي أشار لهم بتنفيذ ما أمر به الوزير.

أخذ الوزير يركض بجوار المحفة الكرستالية الحاملة لماجد، والرعب ينهشه بالداخل، ولومه لنفسه على سلبيته تجاهه تمزعه. كان يراقب المحفة التي تحمله متابعًا حالته تبعًا لتغير ألوانها، فإذا بها تتحول إلى اللون الأحمر القاني الدال على خطورة الحالة.

تم نقله إلى غرفة شديدة الاتساع تحوى من الأجهزة الطبية الكثير والكثير جدًا. وُضِع جسده على فراش مموج من الكرستال الرمادي ناسبه كأنما صمم لأجله فقط. تقدمت خمس طابيات بلون وردي مخطط بالرمادي يمسحن وجهه مما علق به من سوائل خارجة من فمه وعينيه وأذنه. وضعن خلف رأسه وسادةً من الكرستال الوردي، والتي أخذت في التألق حول رأسه مُكونةً كرةً

وردية شفافة أحاطت برأسه لتمده بما يلزم من الأكسجين والتغذية التي يحتاجها عبر فمه، ومُطلقةً أشعتها الخافتة نحو مخه لترمم ما تلف منه. أمسكت إحداهن بخرطوم طويل يصل إلى الحائط الرمادي يخرج منه غاز لؤلؤي شاحب، مررته على جسده، فبدأت زرقة جسده في الانحسار، وليكتسب جسده لونه الطبيعي. تفرقت الطابيات سامحات لأربعةٍ من الأحصنة الوردية ذوي الشعر الرمادي بالاقتراب. تقدم الأربعة من الجسد المسجى بخطوات رتيبة ذات إيقاع محدد، وفي لحظة واحدة أطلقوا شعورهم نحوه، لتلتف حول جسده، وترفعه ببطء ثم تخفضه، وهكذا. بعد الرفعة الخامسة تُرِك ماجد ليسقط، فتلقفته ثلاثة خراطيم وردية لثلاثة أفيال رمادية. وضعته الأفيال على فراشه، وبدأت بإطلاق الدواء حوله من خراطيمها على هيئة قطرات وردية، ما إن تُلامسَ جلده حتى تضيء مكانَها بضوءٍ وردي شاحب، يختفي بعد برهة ليعيد لجسده الحياة.

كان الوزير يتابع كل ما يحدث من داخل غرفة العناية الفائقة في مخدعه بالقصر الوزاري الكرستالي بقلق وتوتر شديد، والأفكار تعبث بعقله.

فماذا لو أصاب ماجد مكروه؟

ماذا سيفعل؟

هذا الشاب المسالم الذي ساقه حظه العاثر للقدوم إلى المملكة الكرستالية، وهي على شفا حرب مقدسة لا يعلم نتيجتها إلا الله.

ترى ما السبب في قدومه إلى مملكتنا؟

ما معنى تلك المشاهد التي شاهداها على الشاشة الكرستالية المقعرة؟

من هذا الشاب الذي ظهر مع ماجد؟

ما علاقته به؟

وما علاقة ذلك بقدوم ماجد إلى المملكة؟

قطع استرسال الوزير في أفكاره تأوهات ماجد، الذي بدأ يستعيد وعيه.

* 7 *

هرجٌ ومرج وحركات غير منتظمة. اختلط الحابل بالنابل مع انطلاق صفارات الإنذار في جنبات المملكة الياقوتية. ضوءٌ أحمر قانٍ ينبعثُ في غرفة الحكم الملكية، على إثره صرخ الوزير (ياقوت): اختراقٌ لحدود مملكتنا! ظهور جاسوسٍ على بوابات المملكة الشمالية! خطة الطوارئ الأولى!

أنهى الوزير كلماته منتظرًا إشارة الملك (الأحمر). رفع الملك صولجانه ذا الرأس الياقوتية بالموافقة. على إثر ذلك اصطف الحرس الملكي الياقوتي بترتيبه الحربي: جنود، فطابيات، فأحصنة، ثم أفيال، ثم سار الجميع في خطوات عسكرية ثقيلة تجاه البوابات الشمالية. بمجرد وصولهم انطلق صفير حاد، على إثره أعيد تشكيلهم. كَوَّن الجنود ممرًا طويلًا من صفين يتخلل كل عشر جنود طابية، في بداية الممر وقفت الأحصنة، وفي نهاية الممر وقفت الأفيال. فُتِحت البوابة ببطء، كان الجاسوس يتابعها بعينيه باستمتاع ونشوة غريبة. اقتربت منه الأحصنة آمرين بأن يتخذ خطواته إلى الممر، ويسير فيه دون إبطاء. بلا أي مقاومة سار الجاسوس، وهو يستعرض الجميع بعينيه كأنه مَلِك يستعرض موكب استقباله.

وصل الجاسوس إلى القاعة الملكية الحمراء، فرفع بصره إلى الملك الجالس على عرشه بأبهة وغطرسة، واضعًا تاجه الياقوتي المطعم بالفضة، وقال له بهدوء مميت: يبدو أنني وصلت إلى ملك المملكة الياقوتية.. الملك (الأحمر).

ثم ضم كفيه، ووضعهما تحت ذقنه كنوع من التحية ذات الطابع الهندي، وقال بوقار: تحياتي لك أيها الملك (الأحمر).

أنزل يديه بجانبه، وأردف بمرح: يبدو أنكم تظنون أني جاسوس المملكة الكرستالية. أليس كذلك؟

رد الوزير (ياقوت) مصعوقًا من جراءته بهزة من رأسه إيجابًا. ضحك الجاسوس، بينما زوى الملك (الأحمر) بين حاجبيه في إشارة واضحة بأن صبره بدأ ينفد، وغضبه أخذ في حل محل صبره

النافذ بالتدريج. قطع الجاسوس ضحكته فور رؤيته لعلامات الغضب الأولية على وجه الملك. صمت منتظرًا أيًا من الملك أو الوزير أن يسأله عن هويته.

طال انتظاره بلا جدوى، فتطوع ليكمل بغطرسة: أنا وبلا فخر النبوءة التي تحدثت عنها الأساطير. أنا من سيعيد لكم عرش الممالك الكُرية، والحياة على سطح الكرة.

سأله الوزير باهتمام: من أنت؟ وكيف علمت بتلك النبوءة!؟

قاطعه الملك سائلًا الجاسوس بجشع: كيف ستعيد لنا عرش الممالك؟

رد الجاسوس بهدوء راسمًا ابتسامة واسعة ساخرة على شفتيه الممتدتين من أذنه اليمنى لأختها اليسرى: هذا عليّ هين؛ ذلك لأني أمجد، مصمم هذه اللعبة (عالم الشطرنج الكُري).

* 8 *

فغر الملك (الأحمر) فاه بشكل مضحك، غير أن شكل الوزير (ياقوت) المشلول الملامح كان أكثر إضحاكًا، ولولا خطورة الموقف ودقته لسُمِعتْ ضحكات أمجد ترج المملكة بل سائر ممالك الكرة. بخطوات واثقة تحرك تجاه المقعد المواجه للعرش، وجلس واضعًا ساقه اليمنى على اليسرى منتظرًا رد فعلهم.

أفاق الملك (الأحمر) من الصدمة بشكل تدرجي، فأغلق فمه، ثم اعتدل في جلسته، ثم أشار إلى وزيره ليعتدل في وقفته، وأخيرًا سأله محاولًا إضفاء القوة على صوته المهتز من هول المفاجأة: هل ما ذكرته الآن حقيقي؟

هز أمجد رأسه إيجابًا دون أن ينبس بحرف. غمر الملكَ فرحٌ لا حد له، حتى أنه نزل عن عرشه، وتقدم تجاه أمجد، ثم اختطفه بين ذراعيه، وهو يهتف بسعادة غامرة: أرى بعيني فوزنا في الحرب المقدسة! أرى كوننا سادة سطح الكرة من الآن!

تركه أمجد لنشوته لبضع دقائق، ثم قال بهدوء: وهذا يستلزم أن نتحرك دون إبطاء.

تركه الملك وهو يؤكد بلهفة: نعم.. نعم.. هو ذاك.

سأله الوزير باهتمام: ما هي الخطوات التي يجب اتباعها الآن؟

ابتسم أمجد بهدوء قاتل، ثم قال بخفة: الخطوة الأولى أنا من سيقوم بها، بمفردي.

سأله الملك بلهفة جشعة: وما هي يا سيدي؟

رد بسخرية: أن أذهب إلى المملكة الكرستالية.

تملك الذعر من الملك (الأحمر) ووزيره؛ فردَّ أمجد يعني الكثير والكثير جدًا!

ترى لماذا يريد الذهاب إلى المملكة الكرستالية؟

هل قام باستغفالهم، وهو جاسوس أعدائهم منذ البداية؟

أم أنه يُموِّه، وله هدف آخر؟

ما الهدف الحقيقي من ظهوره هنا؟

هل هو حقًا يريد لهم النصر؟

أم يكذب عليهم؟

ما الداعي لذهابه إلى هناك إن كان هم نصيرًا؟

هل في رأسه خطة محكمة لتدميرها من الداخل؟

أم سيذهب ليَعلمَ بخططاتهم؟

لماذا يملأ رؤوسَهم بالقلق والشك به؟

رفع الملك عينيه محدجًا أمجد بحيرة، وقبل أن يسأل أجابه بما لم يخطر على باله!

* 9 *

«سأنقذ صديقي ماجد» قال أمجد بهدوء.

سأله الوزير باهتمام: من ماجد هذا؟

رفع أمجد حاجبه الأيمن، ليعطيه انطباعًا بأنه متعجب، ثم سأله مستنكرًا: لا تقل أنك لم تعلم بظهور شاب غريب على أعتاب المملكة الكرستالية! لا تخبرني بأنكم لا تملكون جواسيسَ في الممالك جميعًا! وحتى إن كنتم لا تجندون الجواسيس، فهم أعلنوا بأن صاحب النبوءة معهم، وأنهم سيكسبون الحرب!

أشار الملك للوزير بأن يصمت، وأجاب: بالتأكيد، نحن نملك العديد من الجواسيس في كافة الممالك.

نظر له أمجد بقوة، فأكمل بسرعة: وبالطبع نعلم ما أشيع، وأن ما يتردد حقيقي، ولكن آخر ما وصل إلينا أنه تعرض للتعذيب الشديد في الاستجواب، ولذلك فهو نزيل حجرة العناية الفائقة.

تملك الذعر نفس أمجد، فهبّ واقفًا، وهو يقول بانفعال جارف: وهذا يستدعي التحرك السريع!

سأله الملك (الأحمر) باهتمام: وكيف ستتمكن من إنقاذه!؟ إن البيمارستان الكرستالي في قلب المملكة، بجاور قصر الملك (كرستال) ذاته!

فأكمل الوزير (ياقوت): هذا يعني كمًّا لانهائيًا من الحراس. كما لا يمكننا المخاطرة بجواسيسنا لإنقاذه!

أشار له أمجد أن يصمت، ثم قال بقوة وحزم: من قال أني بحاجة إليكم!؟ لقد عمدت لمساعدتكم انتقامًا من المملكة الكرستالية لحجزها صديقي، ولم أكن أعلم أنه عُذّب حتى وصل لغرفة العناية الفائقة. اتركوا لي مهمة إنقاذ صديقي، وأعدوا جيوشكم لحرب ضروس سنخوضها بمجرد عودتي إليكم.

همَّ الملك بمقاطعته، فرفع يده، ثم أكمل: لا يسألني أي منكم عن كيفية إنقاذه. هذا شأني وحدي.

صرخ الوزير معترضًا: ولكن كل الطرق إلى الممالك السطحية محاطة بحراسة فائقة، و....

قاطعه أمجد بتهكم: المعروفة فقط أيها الوزير!

ثم استدار، وغادر المكان بلا وداع.

* 10 *

غادر أمجد القصر الياقوتي بخطى متزنة، ثم انطلق سريعًا في اتجاه كوخ ذي لون وردي على شكل زهرة القرنفل البلدي برز بغتة قرب البوابة، ثم بقفزة واسعة كان بداخل الكوخ الذي اختفى في دوامة من الألوان الفسفورية. بمجرد دخول أمجد إلى الكوخ اندفع إلى منتصفه حيث كان يجلس صديقه مؤمن المنشغلة أصابعه بالعبث على لوحة مفاتيح زجاجية ذات ألوان متعددة براقة، وعيناه لا تفارقان المؤشرات المرتسمة على لوح زجاجي كبير أمامه.

قال أمجد من بين أنفاسه المتقطعة: إن ماجد في غرفة العناية الفائقة!

أجابه بهدوء، وهو يمسح زجاج عويناته بمنديل زهري اللون: لا تقلق. لقد دخلنا الثقب الدودي الدوار منذ دخولك، وسنصل خلال دقائق. عليك أن تضع الخطة الملائمة لإخراجه حيًا .

هز أمجد رأسه إيجابًا ، ثم ذهب إلى أقصى غرف الكوخ، ولاذ بالصمت.

ترك مؤمن أمجد لخططه، وغاص في ذكريات نصف ساعة خلت، عندما قدمَ للقاء صديقيه ماجد وأمجد في غرفة الأخير في بيت الطلبة بالجامعة. لقد تأخر كثيرًا وخشي من غضبهما ، ولكنه أُجبر على التأخير؛ فقد أصر الأستاذ المُحاضِر على مد مدة المحاضرة ساعتين. أخذ يرتب أفكاره، وما سيفعله إذا خرجا دونه.

هل سيتصل بهما ، ويلحقهما ؟ أم سيمكث في حجرته حتى يعودا ؟

وماذا لو انتظراه؟

هل سيلومانه على تأخره؟

هل سيصفحان عنه؟

أم سيعاقبانه؟

ماهية العقاب؟

لا يمكن أن يعاقباه!

ولكن ماذا سيفعل ثلاثتهم في الوقت المتبقي من اليوم؟

لم يكد يجيب عن نصف أسئلته، حتى وجد نفسَه في مواجهة باب الغرفة. استجمع شجاعته وطرق الباب. سمع همهمات خافتة، ولكن لم يُفتَح الباب. عاد إلى طرقه مرة أخرى، فسمع صوت همهمات أكثر ارتفاعًا، وظل الباب مغلقًا في وجهه. لم يحتمل مزيدًا من القلق والتوتر؛ فلربما كان صديقاه في مأزق. أمسك مقبض الباب، وأداره ففُتِح بسهولة. دخل مسرعًا، فوجد أمجد يعاني من كابوس مزعج، يجعله يهمهم على فترات بكلماتٍ غير مفهومة. توجه نحوه، وأخذ يهزه وهو ينادي عليه حتى استيقظ. فتح أمجد عينيه ببلاهة، وعدم الفهم يطل من بؤبؤ عينه بسماجة. تركه مؤمن يستعيد توازنه مع عودة عقله الواعي للعمل، وانطلق صوب ماجد المتيبس أمام الحاسوب، وبشرته ذات لون رمادي، وعيناه منطفئة البريق. ناداه أولًا بصوت ممتلئ بالقلق، فلم يُحرِّك ساكنًا، وكأنه في عالم آخر لا تصله نداءات صديقه. اقترب منه يهزه، وهو يناديه بلوعة، وماجد لا يستجيب له.

انتبه أمجد لما يدور، فقفز مندفعًا نحوهما، وهو يصرخ: مؤمن، اترك ماجد ولا تحركه! سنفقده إن سقط من مكانه!

فزع مؤمن، واحتضن ماجد بقوة وهو يبكي؛ فصَدْرُ الأخير يتحرك بوهن، لا يكفي لأنفاس ضعيفة تجعله على قيد الحياة. أقبل أمجد على الحاسوب ليرى ما أقدم عليه ماجد أثناء نومه. صرخ الأول فزعًا، وهو يشرح لمؤمن في عجالة كل ما حدث، ويطلب منه المساعدة لاستعادة صديقهما. وافق مؤمن من فوره، وجلس على جانب ماجد الأيسر، وأمجد على الجانب الأيمن، وانطلقا في رحلة استعادته.

* 11 *

قطع عليه سيل الذكريات صرخات أمجد، مُعلنةً توقف الكوخ دون سبب واضح. فزع مؤمن من صراخ أمجد، فانطلق تجاه الشاشة التي تحمل المؤشرات، فوجد أن هناك انقطاع في الممر الحلزوني الدوار في منتصفه، ولا يوجد أي تفرع جانبي، فقط حائط صد من الفولاذ!

انهار أمجد، وسقط أرضًا متمتمًا: ما العمل الآن؟ ماجد في خطر، ونحن محصوران في الكوخ بين الفولاذ والعودة!

جلس مؤمن بجانبه صامتًا، وأمسك بعويناته ليمسح عدساتها بمنديله لاشعوريًا كما اعتاد عندما يتوتر. كانت عينا مؤمن غائبةً في دوامة من الأفكار، لا ترى أمامها للحظات، حتى طفت على سطح خلاياه فكرة منطقية، فاعتدل في مجلسه، ثم قال: أمجد، لن يجدي ما تفعله بنفسك. أرجوك لتترك الحزن جانبًا، ولنفكر في حلٍ سريع يساعدنا على إنقاذ ماجد. هيا لقد تعاهدنا على ذلك.

هز أمجد رأسه يمينًا ويسارًا بشدة، كأنما ينفض غبار الحزن عن رأسه، ثم التفت إلى مؤمن، وهز رأسه بأنه مستعد. ابتسم رفيقه، وأعاد عويناته إلى مجلسها على قمة أنفه ببهاء، ثم قال بهدوء مثير: كما ترى نحن لا نستطيع التقدم أكثر؛ فالكوخ القرنفلي غير مجهز لثقب الفولاذ، ولكنه مؤهل للعودة قليلًا. أليس كذلك؟

هز الآخر رأسه إيجابًا، فأردف الأول وهو يداعب بأنامله المفاتيح الملونة بسرعة: جميل.. هذا يعني، وطبقًا للخريطة، أنه يستلزم العودة إلى منتصف الممر، ثم السير في الممر الجانبي المُفضِي للمملكة الفيروزية، ثم الانتقال عبر ثقب دوار إلى سور المملكة، ثم القفز إلى ثقب آخر ينقلنا إلى المملكة الزمردية، ومنها بنفس الطريقة إلى المملكة الكرستالية.

أطرق أمجد مفكرًا لبرهة، ثم قال ببطء: لو سِرنا طبقًا لهذه الخطة، فإننا مهددون بكشفنا، وضياع ماجد، غير أننا سنُحبس مثله، ولربما تعرضنا إلى الأذى.

أمَّن مؤمن على كلامه بهز رأسه، ولكنه قال: هذا أفضل من الطريق الآخر الذي سيجعلنا نمر عبر ثلاث ممالك شرسة: الكهرمانية، العقيقية، والبلاتينية؛ فلو حاولنا تجاوز إحداها سنموت بمجرد عبور الكوخ للثقب. أم تفضل أن نظل عالقين هنا؟

هبَّ أمجد من مجلسه وقفًا، وهو يقول بسرعة: لِمَ أنت جالس هكذا!؟ هيا لنبدأ ترتيباتنا لننطلق تجاه المملكة الفيروزية!

ضحك مؤمن، ثم ترك يديه تداعبان الأزرار البرَّاقة برقة، ليعود الكوخ إلى الوراء.

* 12 *

في مكان يرغب كلاهما في الذهاب إليه، شقَّت الصمتَ شهقةُ ماجد، مُعلنةً عودة وعيِهِ إليه. اعتدل ماجد بحدة، وأخذ يتلفت حوله، محاولًا تذكر ما رآه في غيبوبته، غير أن خلايا ذاكرته تأبَّت عليه، وأصرّت على محو تلك الرؤية من فورها. حاول ماجد التمسك بشذرات مما علق بذهنه دون جدوى؛ فقد غابت في صحراء مقفرة ذات رمال متحركة تُغرِق كل ما يقترب منها.

نقلتْ أجهزة المتابعة كل ما يدور في حجرة ماجد للعناية الفائقة، إلى الشاشة الخاصة الملحقة بمخدع الوزير (كريس) في القصر الوزاري الكرستالي، والذي ترك كل مهامه فعليًا، وإن تظاهر بخلاف ذلك؛ ليتابع حالة ماجد، الذي أحبه لشجاعته وكبريائه. كان يشعر أنه ظُلِم بحضوره إلى المملكة الكرستالية في هذا الوقت الذي يشهد ذروة جنون وشَكّ الملك (كرستال)؛ فخوفه لفقد المملكة الكرستالية مكانها ومكانتها يدفعه لفعل أي تصرف أحمق، برعونة منقطعة النظير.

جلس الوزير كريس يتأمل ملامح ماجد المُجهدة التي لم تعد تقدر على الإتيان بأي انفعال. شعر الوزير أن عليه إنقاذه بأي وسيلة، وهذا يستلزم ذهابَه إليه على جناح السرعة، قبل أن يعرف الملك (كرستال) بعودة وعيه إليه.

انطلق الوزير من فوره إلى البيمارستان الكرستالي، فوجد على بابه رئيس المشفى الدكتور الفيل (كريستي) -وهو فيل متعدد الألوان ضخم الجثة حتى لتظنه يزن أطنانًا. بالتأكيد هو أضخم أفيال البيمارستان بل المملكة كلها، وإلا كيف تَبَوَّأ منصبه- في استقباله والهمّ يركبه، حتى أنه يكاد ينتشر مع الهواء الخارج من خرطومه.

لم يهتم الوزير (كريس) بكيفية معرفة الرئيس الفيل (كريستي) بمقدمه؛ فما يهمه الآن على الأقل هو معرفة ما سبب ذاك الغم المتجسد على ملامحه، فسأله بقلق: ماذا حدث يا كريستي؟

لم يجبه بحرف، بل أمسكه بخرطومه ذي ألوان قوس قزح، وسحبه خلفه إلى غرفة مغبرة منعزلة خارج البيمارستان، وقريبة من سوره الخلفي يبدو أنها مهجورة منذ تأسيسها.

تركه الوزير يقوده دون أن يترك العجب النامي في أحشائه يطفو على وجهه. غير أنه بمجرد دخوله الغرفة لم يستطع أن يحافظ على ملامحه جامدة؛ فأمامه شاشة شفافة ذات إطار من الفقاعات الوردية تعرض رؤية ماجد التي فشل في تذكرها برتابة وتكرار، وكل مشهد فيها ينذر بكارثة ستُنهي الممالك الكُرية جميعها إن تحققت، وهذا ما لا يتمناه كليهما.

* 13 *

وقف مؤمن أمام النافذة الشرقية المدببة للكوخ، ليشاهده وهو يستدير ببطء، ليدخل النفق الدوار. كان كل شيء يسير كما خطط له، إلا أن طوفانًا أسود اجتاح النفق، وغلَّف النوافذ، وسحب الكوخ بسرعة فائقة رجَّت الكوخ رجًا، مما دفعه هو وأمجد وأثاث الكوخ إلى منتصفه، ليدوروا حول مركز ثقل الكوخ بسرعة لم تتحملها أدمغتهم، فدفعتهم في غيبوبة طويلة. بعد وقت ليس بالقصير توقف الكوخ بغتة، وفُتِح بابه ليتدفق السائل الأسود إلى داخله، حاملًا الصديقين إلى منبع الطوفان.

انحسر الطوفان الأسود سريعًا كما طغى سريعًا، حتى أنه لم يبقَ منه قطرة يستدل منها على مروره هنا؛ فإذا نظرتَ إلى الكوخ الفارغ والممرات تجدها نظيفة ساكنة ببراءة. كان الطوفان يتراجع في الممرات المختلفة بسرعة إلى مركز الكرة التي تحمل الممالك. بهدوءٍ حطّ الطوفان أمجد ومؤمن في وسط قصر أسود تتحرك حوائطه وأسقفه، مغيرةً شكلها كل لحظة.

تجسَّد الطوفان على هيئته الأصلية، مُكونًا جيشًا من قطع الشطرنج المعتادة، والتي اصطفت على شكل كتائب، يرأس كلًّا منها فيل، وعن يمينه حصان، وعن يساره زوجٌ من القلاعِ (طابيتان).

ظل جسدا الشابين في حالة من الغيبوبة العميقة التي تعزلهما عن العالم المحيط. بينما تساقط من منتصف السقف سائل أسود لزج، بسرعة منافية لقوانين الفيزياء الطبيعية، مُشكلًا وزيرًا شرسًا تقدم نحوهما مشهرًا سيفه الأسود متغير الشكل والحجم، وقبل أن يصل إليهما ارتفع صوت شلال هادر، ينبثق من السقف، ليسقط سائله الأسود السميك على كرسي العرش الأسود دائم التغير الشكلي، ليتشكل الملك الذي صرخ في وزيره: توقف! لا تمسهما بسوء! فأنا من أمرتُ باحضارهما.

تراجع الوزير، وأحنى رأسه باحترام، ثم أذاب سيفه في داخل جسده، حتى تلاشى دون أن يترك أثرًا. لوَّح الملك بطرف صولجانه، فاندفعتْ قطراتٌ سوداء شمعية في اتجاه الجسدين المسجيين، ما إن لامستْ بَشرتيهما حتى دغدغت مواقع التلامس برقة. استعاد مؤمن وعيه أولًا،

فاعتدل جالسًا، بينما انفصلتْ القطرات عن وجهه لتتحد بالأرض. كانت نظرة عدم الفهم تطل من عينيه بشكل صارخ، دفع الملك ليلقي ضحكة عالية مرحة، ثم أشار له أن ينتظر إفاقة صديقه المتململ.

لم تكد تمر عشر ثواني حتى استعاد أمجد وعيه. أدار عينيه في المكان برهبة، وهو يتمتم: غير معقول!

ابتسم الوزير بشراسة، بينما قال الملك بود : مرحبًا بكما في المملكة النفطية. أعرفكم بنفسي.. أنا الملك (الأسود)، وهذا وزيري (بيترو).

ثم أشار بيده الحاملة للصولجان بلا داع، وأردف: لا داعي لأن تُعرِّفا نفسيكما؛ فأنا أعرف عنكما كل شيء، ثم ضحك بسخرية وأكمل: بل إن الممالك الكُرية كلها تعرف بوجود ثلاثتكم.

ثم واصل ضحكاته المتشفية ذات الجرس المجوَّف التي شاركه فيها الوزير، بينما تملك الفزع الصديقين.

* 14 *

اقترب الوزير (كريس) من الشاشة الوردية برهبة، وهو يتأمل ما تعرضه بقلق، ثم صرخ في رئيس المشفى الفيل (كريستي) بغضب: ما هذا الذي أرى!؟؟

رد عليه (كريستي) بِهَمّ: إنها رؤية ماجد في غيبوبته، نيافة الوزير (كريس) المحترم.

سأله الوزير برعب: هل تعني أن هناك اثنين من رفاق الشاب داخل كوخ قرنفلي، يحاولان الولوج لمملكتنا عبر ممرات لا نعرف عنها شيئًا، لإنقاذ رفيقهما؟

هزّ الفيل خرطومه مؤيداً. صرخ الوزير بهلع: إنها كارثة!! سيَقتل الملكُ (كريستال) ماجد إن علم بذلك، وسيُحيل حياة رفيقيه لجحيم مستعر حتى يعرف شبكة الممرات. إننا في ورطة لا حد لها.

استنكر الفيل اهتمام الوزير بحياة الرفاق الثلاثة، وقال بغضب: ومملكتنا التي على شفا حرب مقدسة لا تهتم لها!؟ وأرواح جنودنا وسكاننا يا وزير المملكة الكرستالية، سيدة ممالك سطح الكرة!؟ ألم ترَ بقية المشاهد البشعة لرؤياه!؟

نظر له الوزير بغضب هادر، وقال: إنها حرب البُلَهَاء التي نخوضها بلا طائل، ليُقتلَ سُكاننا لأجل رقعة على سطح كرة لا تُسمِن ولا تُغنِي. فقط المكانة الزائفة تهم أكثر من أرواح سكانها. انظر إلى مملكتنا، وممالك التحالف، وممالك الأعداء جميعًا. نحشد للحروب ولا نبني حضارتنا! إننا حفنة من الحمقى، نتصارع لفناء أنفسنا! هذه المرة نقتلُ ثلاثةً من الأبرياء دون جريرة! ألم تشبع ممالكنا من الدم!؟ ثم ما أدراك أن هذه المشاهد البشعة سوف تتحقق؟

نكس الفيلُ رأسه مُؤمِّنًا على كلام الوزير، ولكنه قال بتبرم: ولكن إن كانت مشاهدُ وجود رفيقيه حقيقية، هذا يستلزم أن تكون المشاهد البشعة التالية لها كذلك!

تلك الاعتراضُ روحَ الوزير، وقبل أن يُوضِّح سبب اعتراضه قطع عليهما خلوتهما صوتُ صفارات إنذار ترج المكان بقوة، مما يعني حلول كارثة بكل المقاييس.

ركض الوزير يتبعه الفيل حيث المبنى الرئيسي للبيمارستان، غير أن طوفانًا من السواد اجتاح المكان، منبعثًا من نقاط محددة في السور الكرستالي، يجرف كل ما يقف أمامه. العجيب في الأمر أنه كان لا يتصرف كأي مائع معروف، بل كان يتصرف كأنه ذو ذكاءٍ وعقل؛ فقد اتحد السائل المندفع من كل النقاط في اتجاه المبنى الرئيسي، ليعبر البوابة، وينطلق صوب غرفة العناية الفائقة، حيث ماجد، الذي لم يتعجب مما يرى، حتى عندما حمله الطوفان مغادرًا البيمارستان ظل هادئًا بشكل استفزازي، تاركًا للطوفان أن يفعل به ما يشاء.

تسمر الوزير في مكانه على بعد خطوات من مدخل البيمارستان، يشاهد ما يدور كأنه مشاهدٌ لفيلم ثلاثي الأبعاد، منفصل عن الواقع مشدوه؛ فما يراه غير حقيقي في وجدانه فقط. أما رئيس البيمارستان فلم يترك لعقله فرصةً ليعمل، بل انطلق صوب ماجد الطافي فوق سطح السائل محاولًا التقاطه، غير أن لطمة من الطوفان قذفت به إلى السور، ليُشجَ رأسُه، ويغيبَ عن الوعي مع اندفاع كرستالاته الداخلية من خارج جرحه. هنا لم يترك الوزير لعقلهِ فرصةً ليتجمد، فأمر الجميع بالابتعاد، وتَرْك الطوفان يغادر من حيث أتى دون تدخل، وأشار لفريق الطوارئ بحمل الفيل الرئيس (كريستي) إلى الداخل.

تجمع الطوفان حول الوزير على شكل أفعى كوبرا عملاقة، تحمل ماجد من جذعه بلسانها المشقوق. للحظة لم يتحرك أيٌّ من ثلاثتهم. مرت اللحظة على الجميع كأنها قرنٍ من رهبتها، واستكانة ماجد جعلت الوزير (كريس) يعيش حالة صدمة رهيبة؛ فما يعانيه ماجد كان بسبب الاستجواب الملكي البشع. ليته استطاع إيقاف الملك (كرستال)!

انتهى كل شيء كما بدأ، فعاد الطوفان إلى طبيعته المائعة، وانسابَ في الممرات التي قدم منها، لتُغلق بعد اختفائه مع حمله البشري.

* 15 *

أشار الملك (الأسود) للشابين بأن يستريحا، فانشقت الأرض عن سائل أسود اتخذ شكل مقعدين دائمي التغير الشكلي. جلس كلاهما في تردد، خوفًا من الجلوس على هذا السائل اللزج؛ فلربما قام بابتلاعهما، أو تقييدهما، وأضعف الاحتمالات أن لا يستطيع حملهما فيسقطان أرضًا. غلبهما ترددهما للحظة لم تفت على عيني الملك اللتين كانتا تتابعهما كالصقر، قبل أن يقررا المغامرة بالجلوس. ابتسم الملك عندما وجد العجب يرتسم على محياهما؛ فقد كان المقعدان متينين مريحين بشكل لامعقول.

تقدم الملك (الأسود) نحوهما، وهو يقول مبرح: لا داعي للعجب؛ فقد أعددتُ لكما مفاجأة بعد ثلاث دقات.

ثم بدأ الوزير (بيترو) بالعد، والملك يبتسم بثقة، لتنتهي الدقات الثلاث باندفاع السائل الأسود من بين قدميهما، حاملًا مفاجأة أكبر من أحلامهما.

هل جربت شعور الوقوف على بريمة البترول وهو يخرج منها كالشلال؟

لا أظن؛ حتى مهندسو البترول يتحاشون الوقوف قريبًا منها.

هل تصادف وجودك على حافة ينبوع ماء فوار يقذف بمياهه الساخنة بقوة؟

لا أظن أيضًا؛ وإلا كيف أجدك تجلس أمامي لتقرأ هذه السطور!؟

هل... أوه! يكفي أسئلة تشترك في أن النفي إجابتها، ولنعد للصديقين مؤمن وأمجد اللذين اختبرا تلك المشاعر جيدًا، عندما انفجر ينبوعٌ من النفط الأسود من بين قدميهما، فأطاح بهما بقوة جعلتهما يُسلّمان على الجدار بكافة خلايا جسديهما.

لا تتعجب هكذا، أنسيت أنها المملكة النفطية!؟

ما إن لامسا الجدار حتى انهار جزء منه ليغمرهما للحظة، قبل أن يعيد تشكيل نفسه كالسابق، ويتركهما ليسقطا تجاه الأرض، غير أن الوزير (بيترو) ملّ تكرار المشهد، فالتقطهما، وساعدهما على الوقوف بشيء من الاتزان.

تمالك الشابان نفسيهما بصعوبة بالغة -بالطبع؛ فالغمر بسائل سميك لزج لبضع ثوان كاف لإثارة الرعب بداخلك خوفًا من الموت اختناقًا- وعادا بنظريهما إلى ينبوع النفط الفوار الذي لم يسكن، فوجدا ماجد يجلس القرفصاء على قمة نافورة النفط، ضامًا ذراعيه حول جسده في وضعية الاستعداد، وهو ينظر لهما بسخرية مرة.

* 16 *

قدم الملك (كرستال) على جناح السرعة إلى البيمارستان فور سماعه لصفارات الإنذار، ومن خلفه حاشيته الملكية، ورئيس الحرس الملكي الكرستالي، ومعه بعض من القادة والحرس المكلفين بالتنقل معه كيفما أراد. ما إن وطئت قدمه البوابة حتى تجمد في مكانه؛ فأمام عينيه وجد طوفان النفط يتشكل على هيئة أفعى تحمل بلسانها المشقوق ماجد. ظل على وضعيته تلك لوقت طويل، غادر فيه النفط إلى منابعه حاملًا الشاب المستكين، ونُقِل الفيل الرئيس (كريستي) والمصابين إلى جناح الطوارئ لتلقي العلاج. لم يجرؤ أحد على الحديث معه إلا وزيره (كريس)، الذي أُخبر بوقوف الملك مشدوهًا عند البوابة الرئيسية.

تقدم الوزير نحوه بثبات، ثم انحنى باحترام، وهو يقول بصوت وقور: مولاي الملك (كرستال) المعظم.

انتبه له الملك، فأردف: مولاي، لا يصح وقفك هكذا. هيا بنا.

ظل الملك متيبسًا لبرهة، ثم قال: أريد أن أرى (كريستي) الفيل الرئيس الآن!

همس الوزير باحترام: ولكنه في غرفة العناية الفائقة. لقد فقد الكثير من بلوراته الكرستالية.

ثم أطرق برأسه، وهو يكمل بحزم: أظن أنه لا داعي لزيارته الآن على الأقل.

نظر له الملك بحدة، وهو يصرخ: قلت الآن يا (كريس)! أظن أنني الملك، وأعي ما أريد جيدًا.

تنحنح الوزير، وهو يتمتم معتذرًا. لم يمهله الملك لقول شيء آخر، بل تقدمه إلى البيمارستان، وهو يشير له أن يلحق به.

وصل الملك (كرستال) إلى جناح العناية الفائقة، فوجد الطاقم الطبي المكون من رؤساء الأقسام يقف بجوار باب الجناح مهللًا مرتبكًا، يتناقشون بحدة.

نظر لهم الملك بريبة لبرهة، ثم سألهم بتعالٍ: ما الذي يجري هنا يا سادة؟

التفت له الجميع بتوتر، ولم يجبه أحد. كان هذا فوق احتمال الملك الذي اعتاد على أن تُسلَّط عليه الأضواء ويحظى بجل الاهتمام.

كيف يهمله رعيته!؟

وأين ذهبت الطاعة العمياء له!؟

فبدأ بسؤال نفسه..

كيف تحول بعض رعاياه هذا التجاهل المقيت لشخصه!؟

هل نسوا من هو !؟

إنه الملك (كرستال) سيد الممالك الكُريّة. قائد الجيوش السطحية التي لا تهزم.

هل حقًا هو الملك (كرستال) المعظم؟

أخذ يتلفت حوله وإلى انعكاس صورته على صولجانه.

إنه هو الملك (كرستال) بملامحه المعروفة، ولكنها تحولت من الغرور والتعالي، للذهول والتوتر. بذات الثياب، ولكنها مهدلة قليلًا، حتى صولجانه أصبح منطفئًا لا يُشعّ ألوان الطيف لبهجته، ولكن بالرغم من كل ذلك لايزال هو الملك (كرستال).

لا يمكن أن يكون تم استبداله.

إنه لا يذكر ذلك.

لا داعي لتلك الأسئلة الجوفاء، وإجاباتها الخرقاء. يكفيه غباءً! فصرخ فيهم بقسوة: يا حمقى! هل تحبون أن تُسجنوا!؟ لماذا تصمتون؟ فليجبني أحدكم! ماذا يجري؟؟

ثم أمسك بصولجانه ونخزه في صدر أقرب الواقفين له صارخًا: فلتجبني أنت أيها الأحمق! لماذا تتحلقون عند مدخل الجناح بهذا الشكل الأخرق!؟

تمتم معتذرًا، ثم رفع صوته مجيبًا: عفوًا يا مولاي الملك المعظم، ولكن حالة الرئيس الفيل (كرستي) عجيبة. لقد فقدَ أغلب بلوراته قبل أن نتمكن من حمله إلى الداخل.

قاطعه الملك بعنف: هل تعني أنه سيموت؟ وهل هذا يفسر تصرفاتكم السيئة!؟

رد بخجل: كلا بالطبع يا سيدي، ولكن ما تبقى من جسده من بلورات أقل مما يَسمح له بالحياة ككرستالي، فحاولنا نقل بعض الكرستالات لنصل به للحد الآمن، غير أن جسده رفض قبولها على خلاف المتوقع. وبالكشف عنه وجدنا بعض قطرات من السائل الأسود تستحوذ على كرستالاته، لتتحول إلى مزيج غير معروف.

اتسعت أعين الوزير (كريس) برعب، بينما تدلى فك الملك (كرستال) ببلاهة غير ملكية.

* 17 *

ركض مؤمن وأمجد تجاه ماجد مناديين عليه بلهفة، غير أن الأخير لم يحرك ساكنًا، وبدا كأنه هو المستمتع بجلوسه فوق شلال النفط لا يسمعهما.

ضحك الملك (الأسود) بقسوة، فتحول اتجاه اندفاع النفط بحدة، ليقذف بالجالس عليه على رفيقيه بقوة، فتكوم الثلاثة فوق بعضهم، ثم غمرهم السائل السميك للحظة، وبعدها سحبهم إلى أسفل لتعد الأرض مستوية كأن ثلاثتهم لم يطئوها مطلقًا.

اندفع السائل الأسود إلى أسفل بسرعة رهيبة، مخترقًا شبكة الأنفاق الدودية الدوارة، حتى صدمهم في الجدار الفولاذي. تكوّم الثلاثة بجوار الجدار، بينما حاوطهم السائل على هيئة حوائط متغيرة، ليسجنهم داخله. اعتدل ماجد واقفًا منتظرًا رفيقيه أن يعتدلا. كان متحفزًا، كمفهد يراقب فريسته لينقض عليها في لحظة خاطفة. جلس أمجد القرفصاء، وهو يتأوه متحاشيًا النظر إلى ماجد. انتظر كلاهما مؤمن ليعتدل أو يتحرك إلا أن جسده ظل ساكنًا. مال عليه أمجد يهزه مناديًا، إلا أن مؤمن لم يستجب لنداءات رفيقه، ولكن جسده استجاب بليونة عجيبة. فُجِع أمجد، وبدأ في الصراخ مولولًا. قفز ماجد نحو جسد رفيقه منحيًا الآخر بيده. هز ماجد صديقه برفق، ثم قلبه على ظهره، فوجد جرحًا كبيرًا في خاصرته، وآخر في جانب رأسه. حاول تضميد جراحه النازفة، لكنه لم يجد ما يضمده به. بدأ أمجد بطرق الحوائط طالبًا النجدة، إلا أن يديه بدأتا تغوصان في السائل اللزج.

ضم ماجد مؤمن إلى صدره، وهو يصرخ: يا حمقى! يا قساة القلوب! سيموت يا أغبياء! ليس هذا وقت استعراضكم للقوة!

وكأن السائل غضب من سباب ماجد، فبدأ بالفوران والزحف حول مؤمن، محاولًا انتزاعه من أحضان صديقه، الذي قاوم باستماتة لمنعهم من أخذه. بينما تصلب أمجد بشكل مخيف في مكانه.

* * * * *

دقت صفارات أجهزة الإشارات الحيوية في جناح العناية الفائقة بالبيمارستان الكرستالي، منذرةً بقرب حدوث الكارثة بوفاة الفيل (كريستي). اندفع الجميع داخل الحجرة ليجدوه في وضعية متشنجة؛ فخرطومه تحوّل إلى اللون الأسود ملتف حول عنقه الكرستالي يخنقه. حاولت طابية مراقبةً له التدخل في محاولة يائسة لإنقاذه، فتحول الخرطوم إلى عنقها يعتصرها بقوة، ثم دفع سائلًا أسود في قمة رأسها لتتحول للون الرمادي، وتسقط متشنجة.

في تلك الأثناء استغل (كريستي) تحرر عنقه، وصرخ بالملك: مولاي الملك المعظم (كرستال)، اذهب مع الوزير لتشاهد النبوءة التي....

لم يستطع إكمال كلامه؛ فقد عاد الخرطوم لعنقه ليعتصرها بقوة، ثم حدث ما لم يكن في الحسبان؛ فقد انفجر الفيل (كريستي) مطلقًا كمًّا هائلًا من القطرات السوداء المحملة على أسنة شظايا بلوراته الكرستالية التي أصابت طاقم التمريض فاخترقته مسممة، فبدؤوا بالصراخ مستغيثين، بينما أخذت بعض القطرات التي لم تصل هدفها بالزحف نحو المتحلقين بجوار الباب. تملك الفزع من الجميع؛ يبدو أنهم في خطر لا قبل لهم به. المملكة كلها في خطر الفناء. ركض الجميع خارجًا مُغلقين الباب على من أصيبوا بوباء القطرات السود. ظل الجميع يركض حتى الفناء.

تمالك الوزير (كريس) نفسه، وأشار لأقرب فيل ليقترب. ما إن وصل على بعد خطوات حتى أمره بإخلاء البيمارستان، واعتباره منطقة حجر صحي لأجل غير مسمى. انطلق الفيل لينفذ أمره.

التفت الوزير إلى الملك فوجده مشدوهًا يتطلع إلى لاشيء. اقترب منه الوزير بحذر هامسًا: مولاي الملك (كرستال) المعظم! مولاي!

هجم عليه الملك، وعيناه تقدحان بالشرر صارخًا: أرني النبوءة!

رد الوزير بخوف: عن أي نبوءة تسأل يا سيدي!؟

أمسك الملك بالصولجان بشده، ووضعه على رأس وزيره مهدداً: التي تحدث عنها (كريستي) قبل موته يا (كريس). لا تتظاهر بالغباء، فتدفعني لحماقة لا أريدها.

استسلم الوزير (كريس)، وأجاب: أجل يا سيدي.

ثم أشار بيده تجاه الغرفة المغبرة الساكنة في أقصى البيمارستان بجوار السور، وهو يكمل: من هنا يا مولاي.. تفضل يا سيدي.

* 18 *

دخل الملك (كرستال) خلف وزيره (كريس) إلى الغرفة المغبرة، حيث الشاشة الوردية التي تعرض رؤيا ماجد دون كلل. تنحى الوزير جانبًا تاركًا للملك الفرصة لمشاهدة ما يجري على الشاشة. تقدم الملك بقلق، ثم توقف على بعد بوصة منها، ليشاهد طوفانًا أسود يجتاح الممالك الكرية جميعها، ليحولها إلى صورة مشوهة من المملكة النفطية، ويجلس على عرشها الملك (الأسود)، وعلى ملامحه ترتسم أعتى صور الجشع والقسوة. وتحت قدميه الشباب الثلاثة متيبسين ذوي بشرة سوداء، وأفواههم مفتوحة يخرج منها النفط كالنافورة.

أشار الملك لوزيره بصولجانه بإشارة لا معنى لها. نظر له الوزير بتفهم صامت. حاول الملك استجماع شتات نفسه، قبل أن يسأل سؤاله المفرط في البداهة للحظات طويلة باءت فيها محاولاته بالفشل حتى تمكن بعدها بالسؤال بصوت مشروخ: ما هذا بالضبط؟

رد الوزير بصوت باهت: رؤى ماجد في غيبوبته.

عاد الملك يحاول فتح فمه ليسأل خمس مرات على الأقل، حتى نجح أخيرًا في أن يسأل بصوته المشروخ الغريب عليه: هل هذا حقيقي؟

هز الوزير رأسه إيجابًا. لم يصدق الملك ما رآه، فعاد لرؤية ما تعرضه الشاشة لسبع مرات على الأقل حتى يستوعب ما يراه. مد الملك صولجانه إلى طرف الشاشة لتبطئ المشاهد. مد رأسه ليتمعن في المشهد المعروض لطوفان يضرب الملك (مرو) ملك المملكة الكوارتيزية، ليصطدم في الحائط فيشج رأسه، ثم يتدفق السائل اللزج من جرحه إلى داخله، ليحوله إلى صنم أسود.

أوقف الملك الشاشة، وسأل وزيره بعجب: كيف طور الملك (الأسود) تلك الخاصية به!؟

هز الوزير رأسه بدهشة، وهو يقول: لا أدري يا سيدي. هذا شيء يدعو للعجب!

أشار الملك بصولجانه، وهو يطوح رأسه بضيق، ثم قال: لنترك هذا جانبًا، ولندعو جميع الممالك الكُرية لاجتماع عاجل في القصر الكُري المركزي.

انصرف الوزير لتنفيذ أوامر مليكه. بينما وقف الملك يستعيد ذكريات آخر اجتماع كُري منذ أيام خلت، وجسده ينتفض برهبة.

* 19 *

غمر السائل الرفاق الثلاثة لبرهة، حاول خلالها ماجد وأمجد الخروج منه، إلا أن السائل أحكم قبضته عليهم مكونًا شرنقة سميكة جافة. حاول الشابان المحتفظان بوعيهما تمزيق شرنقتيهما، فازداد ضغطها على صدريهما، وضاقت مساحتها حتى قل الأكسجين الداخل لرئتيهما، ففقدا الوعي، وسقطا بجوار مؤمن الذي أخذت شرنقته بالتمدد، وسائلها يجري برتابه على سطحها، بينما يجري بسرعة على جوفها محاولًا التدفق من خلال جراحه، إلا أن مؤمن استعاد وعيه بغتة، بعد أن كوَّنت دماؤه قشرةً من الصفائح الدموية وفيتامين ك والخلايا الممزقة، متحدية طبقات النفط المحاولة اقتحام جسده. ظل مؤمن على هدوئه كاتمًا أنفاسه لفترة، خادعًا السائل الذي انسحب تاركًا جسده ظنًا أنه فارق الحياة. احتفظ مؤمن بحالة سكونه لبرهة، ثم قفز مندفعًا تجاه الجدار الفولاذي ليصطدم به في نقطة محددة.

طرق مؤمن مناطق محددة من الجدار الفولاذي بقوة. اتخذت مواقع طرقاته شكل القرنفل البلدي. ما إن أنهى طرقاته حتى انشقت أرضية الممر عن الكوخ القرنفلي، مُزيحًا السائل الأسود البغيض، لينحسر عنه في سرعة. أخذت الصدمة بالسائل لبرهة سكن خلالها، ثم بدأ يجمع نفسه في زوايا أربع مشكلًا أربع أفاعي أناكوندا. استغل مؤمن انحسار السائل عن رفيقيه، فجرى نحوهما، ملتقطًا في كل يد قدمًا لأحدهما، وبدأ يجرهما نحوه الكوخ. كان لحركتهما المفاجأة أثر المنشط عليهما، فاستعادا وعيهما بسرعة.

تنبه مؤمن لذلك، فصرخ فيهما، وهو يترك قدميهما ويبدأ بالجري: هيا إلى الكوخ الآن! أسرعا!

تحول ثلاثتهم مع نهاية الصراخ إلى آلات للركض، ليقطعوا المسافة الفاصلة بينهما وبين الكوخ في لحظات، ولكن وقبل أن يتمكنا من دخوله سقطت فوق رؤسهم أفعى الأناكوندا النفطية الأقرب لهم. تشتت الرفاق إلى ثلاث جهات. التفت الأفعى نحو ماجد الأقرب لها. قفز ماجد في طريق متعرج متفاديًا انقضاضتها الشرسة. لم يتوقف مؤمن وأمجد حتى يشتتا الأفعى، غير أن أفعتين قررتا دخول الحلبة، كل منهما خلف واحد. في حين أن الأفعى الرابعة قررت مهاجمة الكوخ لابتلاعه. كانت مواجهة غريبة بين ثلاثة شباب يقفزون في اتجاهات متعددة لتفادي

الانقضاض عليهم من الأفاعي العملاقة، وكوخ يتراقص كمزيج من لاعب أكروبات وباليه، دافعًا الأفعى المواجهة له للانقضاض على رفاقها دونه. استغل الشباب والكوخ الفرصة، فقفزوا عاليًا ليلتقطهم الكوخ، ثم يختفي في دوامة من الألوان الفسفورية.

* 20 *

أمسك الملك (كرستال) بصولجانه بقوة، ثم وجهه على الشاشة الوردية لتختفي رؤيا ماجد، ويظهر بدلًا منها مشهد آخر اجتماع كُري أعلى، حيث كان يجلس الملك (كرستال) على كرسي ذي شكل مميز نُقِش عليه (سيد الممالك الكُرية) متصدرًا صدر قاعة الاجتماعات الكبرى، وعن يمينه جلس ملوك ممالك سطح الكرة الستة: الملك (عوهق) ملك المملكة اللازوردية، بجانبه الملك (فيرو) ملك المملكة الفيروزية، بجواره الملك (بلات) ملك المملكة البلاتينية، ثم الملك (مرو) ملك المملكة الكوارتيزية، يليه الملك (لؤلؤ) ملك المملكة اللؤلؤية، وأخيرًا الملك (أداماس) ملك المملكة الماسية -وهو سابعهم- وعن يساره ملوك الخمس ممالك الجوفية: الملك (الأحمر) ملك المملكة الياقوتية، وبجانبه الملك (الأسود) ملك المملكة النفطية، وبجواره الملك (الأخضر) ملك المملكة الزمردية، يليه الملك (الأصفر) ملك المملكة الكهرمانية، وأخيرًا الملك (معرق) ملك المملكة العقيقية يحتفلون جميعًا بالعيد السنوي لاتحاد الممالك بإعادة تنصيب الرئيس، والذي فاز به كالمتوقع، وللمرة الألف على التوالي، الملك (كرستال)، مزيحًا الملك (الأسود) كما أزاح في سابقتها الملك (الأحمر)؛ فممالك سطح الكرة أكبر من جوف الكرة، ولذلك مهما تغيَّر المرشح الجوفي المنافس، دائمًا ما يفوز الملك (كرستال) صاحب أكبر وأرقى وأغنى وأجمل ممالك سطح الكرة.

لم يحتمل الملك (الأسود) تلك الخسارة المُرّة، فوقف يهدد الملك (كرستال) بصوت ممتلئ بالكره: أيها الفائز لا عن استحقاق، ولكن عن تحالفات مريضة تجمع ممالككم. لن تهنأ بمنصبك هذا أبدًا، ولن يهنأ ملوك السطح بامتيازاتهم. إنني أعلن قيام الحرب المقدسة بين ممالك الجوف والسطح، ليحصل المنتصر على المنصب وسطح الكرة.

هب الملك (كرستال) مشيرًا بصولجانه إلى صدر الملك (الأسود) صارخًا: هل جننت يا (الأسود) لتتحدى ممالكنا الأكثر عددًا والأكبر مساحة!؟ ثم من أعطاك الحق بالتحدث عن ممالك الجوف!؟

نظر الملك (الأسود) لملوك الممالك الجوفية، فتركوا مقاعدهم، واتجهوا ليقفوا خلفه، وعن يمينه وقف الملك (الأحمر) الذي قال بِغِلّ: نحن من أعطاه الحق للتحدث بأسمائنا. لقد سئمنا

حكمكم الظالم، ومعاملتكم لنا على أننا عبيد لكم. إنكم تنهبون خيراتنا لتبنوا ممالككم. لقد سلبتمونا حقوقنا تحت اسم (اتحاد الممالك الكُرية)، لتزدادوا غنى ونزداد فقرًا. لقد زاد تجبركم حد الجنون، ولم يعد في الصدر مساحةٌ للصبر على أفعالكم المشينة. يكفي! لن نسمح لتلك المهزلة بالاستمرار!

ثم التفت إلى ملوك جوف الكرة، وصرخ بقوة: هيا يا رفاق!

تحرك ملوك الممالك الجوفية بثبات وقوة مغادرين القاعة، والصدمة تشلّ ملوك الممالك السطحية، لا يصدقون ما يجري أمام أعينهم. هل حقًا فُكّك الاتحاد!؟ وأعلنت الحرب المقدسة بين شقي الاتحاد!؟

وصل الملوك الخمسة إلى الباب، فالتفت الملك (الأسود) وقال متوعدًا: انتظرونا بعد أربع دقات، لنلتقي هنا والعرش والسطح لنا.

قطع استرسال الملك (كرستال) في ذكرياته صوت وزيره قائلًا باحترام: لقد حضر ملوك السطح الستة، ورفض ملوك الجوف الحضور يا مولاي.

اغتمّ الملك (كرستال)، وقال بتجهم: هيا إلى الملوك الستة. يبدو أن لا مفر من الحرب.

* 21 *

أغلق الكوخ بابه على الرفاق الثلاثة، ليصد الأفاعي الأربعة مُحطمًا خطومها على بابه، فتنفجر مطلقةً شلالات من النفط في الاتجاه المضاد لاحتواء الكوخ. لم ينتظر مؤمن أن يُعيد السائل السميك تشكيل ذاته ليهاجم، فانطلق إلى الأزرار البرَّاقة ليختفي الكوخ من العالم الكُري، ويعود ثلاثتهم إلى عالمهم.

استعاد ثلاثتهم رشدهم في ذات اللحظة ليجدوا أنفسهم متجمدين، وأيديهم متشابكة معًا. هب ماجد واقفًا وهو يسحب يده من أيديهم، ثم ركل كرسيه بقدمه اليسرى ليسقط مكسور القدم. لم يعبأ به ماجد، وتحرك صوب الباب بلا كلمة.

لم يحتمل أمجد هذا الضغط النفسي، فصرخ فيه: إلى أين يا ماجد؟؟

لم يكد ينهي نطق اسمه حتى عاد صاحب الاسم له قافزًا ليمسك بتلابيبه، ومُقربًا وجهه منه، وهو يقول من بين أسنانه: حذاري أن تصرخ أيها المأفون! لقد كدتَ تقتلنا بتهورك ورعونتك! ما الذي دفعك لتصميم تلك اللعبة السخيفة!؟ هل تظن أنك ستكسب مسابقة شركة (رهف) للألعاب الواقعية؟ إنك صممت كارثة يا غبي! ستقتل كل من سيدخل عالم هذه اللعبة!

أمسك أمجد بيدي رفيقه ليزيحها، وهو يصرخ فيه: ومن قال أني أنهيت تصميمها يا هذا!؟ اتركني واجلس لتفهم.

تركه ماجد، ولكنه لم يجلس، بل ذهب صوب الباب. ركض مؤمن ليمسك بيد ماجد مترجيًا: ماجد رجاءً لا ترحل! دعنا نستمع إليه، ونساعده. إنه رفيقنا وبحاجة إلينا؛ فمن له سوانا!؟

استسلم ماجد لمؤمن، وذهب معه إلى سرير أمجد ليجلسا عليه. ضم ماجد ذراعيه حول صدره تحفزًا.

ازدرد مؤمن لعابه، وقال: إننا بحاجة لإعادة تقييم الموقف. يجب تغيير عدد الممالك السطحية ليساوي الجوفية؛ لتلافي الحرب

هرش أمجد رأسه بقوة، ثم قال: نحن بحاجة إلى إعادة وضع الممالك لحالتها الطبيعية ناسيةٌ كل منها ما يقال عن الحروب المقدسة للحصول على منصب الزعامة. وليهتموا بدورهم في البنيان الحضاري للممالك. هذا الشطرنج ليس للحرب، ولكنها لعبة واقعية جماعية لتنمية مهارات البناء الحضاري.

قال ماجد بنزق: هذا يستلزم استحداث مملكتين جوفيتين على الأقل، ومملكة متحررة؛ حتى تصبح الانتخابات نزيهة. ولكن يجب أن تكون المملكتان الجوفيتان لديهما القدرة التي تؤهلهما للسيطرة على المملكة النفطية.

سأله أمجد باهتمام: ما ظنك بتلك الممالك؟ ترى ما هي كينونتها؟

خلع مؤمن عويناته ليمسحها بمنديلها، ثم يعيدها ببطء على أنفه وهو يجيب بهدوء: بالبحث البسيط؛ فإن النيران تقضي على النفط.

أكمل أمجد بفرح: ونحتاج إلى المياه لنسيطر على النيران!

ضحك ماجد بجانب فمه، وهو يقول: والمملكة الهوائية هي المملكة المتحررة.

قفز أمجد فرحًا حتى كاد يصدم رأسه بمروحة السقف قائلًا: رائع يا رفاق! هيا إلى العمل!

قام رفيقاه، ليتحلقوا حول الحاسوب، وماجد يقول: الأكواخ يجب أن يتم تطويرها كذلك.

أكمل مؤمن: تزيد أعدادها.

ثم غمز بعينه، وهو يردف: وإمكانياتها كذلك.

ضحك أمجد وقال: يكفي يا شباب، وهيا إلى العمل.

ضحك ثلاثتهم، ثم بدؤوا مناقشات حامية لتطوير اللعبة.

* 22 *

دخل الملك (كرستال) قاعدة الاجتماعات الكبرى في اتحاد الممالك الكُرية ببطء وانكسار خلفه وزيره (كريس) المحطم المعنويات. ليجد ملوك الممالك السطحية متجهمي الملامح، مغبري الوجوه، يصحبهم وزراء لا يمكن وصف حالتهم المزرية، وبعضهم جاء دون وزيره. يجلسون على المقاعد والطاولات كيفما اتفق، فيمكن أن تجد مقعد ملك يشغله وزير، وطاولة يستلقي عليها ملك.

دار الملك (كرستال) بعينيه في الحضور يستعرضهم، فوجد الملك (عَوهَق) ملك المملكة اللازوردية يجلس على أريكة في أقصى القاعة يميل بجانبه الأيسر على وزيره (لازور) الذي يشاركه الأريكة بشكل يوحي بوجود كسر في هذا الجانب، وهو يئن بصوت مشروخ، في حين كان وزيره يسعل بقوة مُطلقًا غبارًا ذا لون رمادي لا معنى له.

على بعد خطوات معدودة يوجد مقعد وحيد يجلس عليه الملك (فيرو) ملك المملكة الفيروزية شارد العينين، لا يعي ما يدور حوله، أما وزيره (روزي) فليس له أثر في كل القاعة. هل مات؟ أم مصاب بالبيمارستان اللازوردي؟ أو خلاف ذلك؟ لا يعلم أحد سوى مليكه.

على كرسي سيد الممالك يجلس الوزير (بلاتي) وزير المملكة البلاتينية ينتفض في تشنجات غير منتظمة، بينما ملكه (بلات) يحتضنه وهو يبكي. لا أفظع من بكاء الملوك! أنه مؤشر لعظم البلاء الذي حل بملكه.

على الطاولة الكروية التي كانت تحمل ذات يوم الكرة الشطرنجية رمز اتحاد ممالك الكرة استلقى الملك (مرو) ملك المملكة الكوارتزية، وقد ضمد جسده بالكامل ما عدا رأسه التي تغلي بالحمي، ووزيره (كوارت) يبدل على رأسه الأقمشة المبللة التى كانت منذ سويعات جزءًا من ردائه الموشي ليُخفض حرارته.

على مقعدين متجاورين بجوار الباب جلس الملك (لؤلؤ) ملك المملكة اللؤلؤية ووزيره (لؤي) يحتضنان بعضهما بقوة، ووزيره يصرخ: يا لهم من وحوش! كيف طاوعهم قلبهم على تدمير البيمارستان اللؤلؤي على رؤوس المرضى والأطباء!؟ لم أكن أتخيل أن صديقي (كهرو) –وزير

المملكة الكهرمانية- قاسي القلب لهذه الدرجة. أترى يا مولاي؟ لقد هدمه أمام عينيّ شامتًا، بينما كان ملكه (الأصفر) يضحك بتشفٍ. لا يمكن أن يكون هذا ما حدث! إنني أعيش أسوأ الكوابيس!

في وسط القاعة، وعلى الأرض، افترش الملك (أداماس) ملك المملكة الماسية رداء وزيره الغائب (أدامو) المغطى بشظاياه، وهو يولول كندَّابة في ميتم بصعيد مصر: لقد مات الصنديد الجسور! تشظَّى بين يدي ليحميني من الهجوم الكاسح للملك (معرق) ملك المملكة العقيقية! تقبَّل سيف الوزير (عقق) في صدره بشجاعة، وأنا ملكه جَبنت، وهربت من ساحة الحرب. يا ويلي! أنا لا أستحق الحياة!

رفع الملك (كرستال) نظره إلى وزيره مستفسرًا.

فأجابه (كريس) بألم: لقد بدأتْ الحرب المقدسة منذ خطف طوفان النفط ماجد من البيمارستان الكريستالي.

سقط صولجان الملك (كرستال) من هول الصدمة، ووقف عاجزًا عن الإتيان بأي فعل.

* 23 *

الحرب كلمة قصيرة التكوين، مفزعة التأثير. لا تستهتر بها يا صديقي؛ فهي مَن تُيتّم الأطفال، وتُرمّل الزوجات، وتثكل الأمهات، تبقر بطون الحوامل، تهتك الأعراض، تمزق الشباب، تأسر الرجال، تذل الشيوخ، تدمر المساكن، تخرب العمائر، تهدم الحضارة، تجلد الإنسانية، تشوي المشاعر، تقتل الحياة، تزحم المشافي، تُرسّخ المجاعات، تُجفّف المياه، تكدس اللاجئين على الحدود، تنفث الموت والخراب، تُخرج أسوأ ما في أطراف الحرب، ويتحمل عواقبها المدنيون الذين لا يخوضون الحرب، ولا يعرفون سببًا لها، ولكنهم يفقهون معناها. سَلْ طفلًا لم يبلغ الخمس عن معنى الحرب التى ولد خلالها، سيجيبك خوفه المتجلي في انتفاضة جسده، وحركة يده في حماية وجهه. في تكوره على نفسه كجنين طُرِح من بطن أمه. في دموع عينيه التي لا تجف. في صرخاته واستغاثاته بأبيه. في نداءاته لأمه. إنها الحرب يا عزيزي، فلا تستهن بها.

في عالمنا الكُري الشطرنجي الافتراضي اجتاحت الحرب ممالكه السبع السطحية على يد نظيراتها الجوفية. بدأت بحركة تمويهية هامة باختطاف ماجد، والتي كان لها هدفان: الأول تشتيت الانتباه عن الأطراف التى اجتاحتها جيوش المملكة الياقوتية، والثاني نشر الوباء في أرجاء المملكة العظمي، زعيمة ممالك العالم الكُري المملكة الكرستالية؛ لتنهار جميع الممالك نفسيًا أولًا ليسهل إسقاطها.

بدأ كل شيء في نفس اللحظة؛ جيوش المملكة العقيقية والمملكة الكهرمانية تهاجم الممالك الفيروزية والكوارتيزية والؤلؤية. أما المملكتان الياقوتية والزمردية فهاجمت الممالك اللازوردية والماسية والبلاتينية. في حين هاجمت الياقوتية والنفطية الكرستالية كخطوة أخيرة.

خطة واحدة لكل الجيوش. المملكة النفطية تستخدم الثقوب الدوارة والممرات الدودية لينطلق منها الطوفان الأسود ويتجه نحو البيمارستان وقصر الحكم يبث سمومه وينشر الوباء. تنشغل جيوش المملكة التى تعرضتْ للفيضان الأسود لمحاولة حصر المنطقة الموبوءة، فتهاجمها الجيوش الجوفية من الخلف فتدمر أغلب الجيش قبل أن يعرف أحد ما يدور فعليًا.

الغريب في الأمر أن الجيوش المعتدية كانت تهاجم بطابياتها وأفيالها وأحصنتها فقط؛ لتحصد أرواح البيادق أولا حتى تفني غالبية الجيش. حركة واحدة من كل قطعة من الجيش المهاجم تقتل بيدق. طابيات تتحرك في خط مستقيم تحصد أرواح كل من يعترضها دون أن يعرف ما يحدث له؛ إنها تنسفه نسفًا دون شفقة. أحصنة تسير بزوايا قائمة تحصر من يقف بعيدًا عنها دون أن يعي أنه في خطر، فلقة شعر مهاجمه تلتف على عنقه تعصره دون رحمة. فيل يسير بخط مائل يمسك بخرطومه كل من يقابله ليكسر عنقه، وهو لا يعرف من كسرها. أما بيادقها هي فتهاجم المدنيين في مواكب الاحتفال بالنصر. كل مملكة ينتهي جيشها، تدخل الجيوش المنتصرة إلى كافة المباني لتهدمها وتشرد سكانها، وتقتل المعترض لطريقها، تلهو بمن يسقط بين براثنها، وتُمثّل بالجميع. يا لهم من حقراء، جبناء، عديمي الرحمة!

بعد تدمير كل مملكة سطحية ينسحب الجيش المحارب تاركًا بيادقه (جنوده) برئاسة حصان لإظهار النفوذ والسيطرة، ويتجه صوب المملكة الكرستالية ليشاركوا في تدميرها، قبل السير في موكب النصر المنطلق صوب القصر الكُري المركزي.

إنها الحرب في أبشع صورها!

* 24 *

مرت ربع ساعة كاملة خَيَّم فيها الصمت على نفس الملك (كرستال)، ولكنه أمضى ساعاتٍ من الصراخ والعويل والدعاء عليه بالثبور وعظائم الأمور. غاب فيها عن القاعة الكُرية بل عن عالمه كله، وعاد إلى الوراء حيث اجتماع اتحاد ممالك السطح الأخير قبل الانتخابات الاتحادية الكُرية. كان في قاعة عرشه بالقصر الكرستالي ومن حوله ملوك الممالك السطحية ووزراؤهم يحتفلون بنصرهم الساحق المتوقع كالعادة. الملوك يتحدثون ويتمازحون، وكل منهم بيده كأس من البلورات المكون له يزيد به نشاطه، بينما تحلّق الوزراء حولهم مشدودي القامة صامتين.

كان الملك (أداماس) ملك المملكة الماسية أكثرهم صخبًا، على العكس من وزيره (أدامو) الواجم. لم يفت هذا عن عيني الملك (كرستال) الذي ترك كأسه الممتلئ لنصفه بالكرستال فائق النقاء، ومال بجزعه نحو الوزير (أدامو) وسأله باهتمام: ما لي أراك متجهمًا أيها الوزير (أدامو)؟

شد الوزير (أدامو) قامته، وهو يجيبه بوقار: عفوًا مولاي الملك (كرستال). ليس بي شيء يا سيدي. شكرًا لاهتمامك بشخصي المتواضع.

ضحك الملك (كرستال) بقوة شاركه فيها الملك (أداماس)، والذي قال لوزيره: لا تكن سمجًا يا (أدامو). لتقل لنا ما بك، أو لتشاركنا الاحتفال؛ فلا داعي أبدًا لتعكير صفو ملوك الممالك السطحية السبع.

مال الملك (كرستال) نحو الوزير (أدامو) أكثر، وهو يقول بقليل من القسوة: لكني أظن أن إفصاحه صار واجبًا؛ فلقد كدَّر صفونا بالفعل. أليس كذلك يا سادة؟

أيده الجميع بهمهمات عالية. ازدرد الوزير (أدامو) لعابه، ثم أحنى رأسه معتذرًا، قبل أن يقول: فليغفر لي ملوك الممالك السطحية السبع. إنني أشعر بدنو كارثة لا قبل لنا بها.

فزع الملوك، وسكب أغلبهم بلوراته فائقة النقاء على الأرض، بينما صرخ فيه الملك (فيرو) ملك المملكة الفيروزية: هل جننت يا أحمق!؟ من أين واتتك تلك المشاعر السخيفة!؟

سأله الملك (كرستال) بهدوء لا يتناسب مع الموقف: عن أي كارثة تتحدث؟

أجاب الوزير (أدامو) برعب خوفًا من بطش الملوك السبعة: أخشى أنني أشعر بقرب نشوب حرب مقدسة.

سأله ملكه (أداماس) بغباء: حرب مقدسة بين من؟

رد الوزير (لؤي) وزير المملكة اللؤلؤية هذه المرة بحسم: بين ممالك سطح الكرة وممالك جوف الكرة يا مولاي.

ضحك الملك (عَوهَق) ملك المملكة اللازوردية بقسوة: هل جننت أنت أيضًا!؟ ما السبب الذي ستنشب بسببه الحرب يا أحمقين؟

رد الوزير (كريس) هذه المرة: بسبب فوز الملك (كرستال) بزعامة ممالك الكرة.

صرخ الملك (كرستال) في وزيره قائلًا: ماذا!؟ يا سادة، يبدو أن وزراءنا قد جنوا جميعًا.

رد الوزير (روزي) وزير المملكة الفيروزية: لو تكرمتم بمنحنا بعض دقائق لنشرح لكم سبب توجسنا، بل بالأحرى ثقتنا في...

صرخ الملك (مرو) ملك المملكة الكوارتيزية فيهم بقوله: فليخرج سبعتكم في الحال! لا نريد أن نسمع شيئًا! يكفي هذا السخف!

خرج الوزراء السبع كاسفي البال، تاركين ملوكهم ليلهوا غير عابئين بما يُحاك في الظل لهم.

* 25 *

سبع ساعات كاملة مرَّت على الأصدقاء الثلاثة المتحلقين دون حراك حول شاشة الحاسوب يعيدون تصميم اللعبة باستحداث ثلاث ممالك لإعادة التوازن لممالك الكرة الشطرنجية، وهي المملكة النارية، والمملكة المائية، والمملكة الهوائية. كما أثمرت مناقشاتهم استحداث عدد خمسة عشر كوخًا وتطويرها، كلًّا منهم سُمِّي باسم زهرة يتناسب لونها مع المملكة التي يستمد منها قوته؛ فمثلا الورد الجوري للمملكة الياقوتية، وزهرة عصفور الجنة للمملكة الكهرمانية، وزهرة اللوتس للمملكة الكرستالية، والزنبق الأبيض للمملكة الماسية، وهكذا. كما قاموا بتغييرات جوهرية في اللعبة تجعلها أكثر مناسبة للألعاب الواقعية الجماعية الخاصة بشركة (رهف) للألعاب الواقعية.

أنهى الشباب إخفاء تلك الأكواخ في الممرات الدودية، عند سور كل مملكة كوخها الذي سيستعمله اللاعب للدخول إلى مملكته -لقد طوروها لتصبح مركبات تنقل من وإلى اللعبة، وبين الممالك- ويحتل منصب الملك ليبنيها ويديرها كما القواعد الجديدة، مُحققًا أكبر قدر من التطور والرقي ليصبح سيد الممالك الكُرية.

رمى أمجد الفأرة وتمطى وهو يقول بكسل: رائع يا شباب! لقد أنهينا كل شيء!

ضربه ماجد على كتفه ممازحًا، وهو يقول: يا أبو الكسل! يجب أن نرى نتائج ما اُستحدث في اللعبة قبل أن نقول انتهينا.

تبرم أمجد، بينما قال مؤمن بشرود: ماجد على حق، ولكني أكره العودة إلى هناك.

قال ماجد بهدوء، وهو يمسك بكتفه بحزم: لا بأس يا مؤمن. إن كنت لا تريد، فلا داعي لأن تأتي معنا.

صرخ أمجد مستنكرًا: معنا!؟

التفت له ماجد، وقال بقوة وهو يكوّر قبضته: أجل يا أمجد. هل لديك اعتراض؟ أحب أن أسمعه يا مصمم هذه اللعبة.

ابتسم مؤمن بهدوء، بينما زفر أمجد، ثم قال بيأس: حسنًا جدًا.. يبدو أننا ذاهبان معًا لا مفر.

ابتسم ماجد في قسوة سائلًا: هل يسوؤك هذا؟

حرك أمجد يده بإشارة نفي سريعة وقوية، وهو يقول متصنعًا الخوف: كلا البتة. بل يشرفني ذلك يا صديقي.

ضحك ثلاثتهم، ثم أمسك أمجد بالفأرة وأعاد تحميل اللعبة، ثم تجاهل خطوة اختيار اللاعبين والممالك، وكتب [مصمم]، ففُتح الكوخ القرنفلي الخاص به، وانطلقا في سرعة شديدة.

* 26 *

أعادَ الملكَ (كرستال) من الضياع في قفار ذكرياته المريرة صوت فتح باب القاعة بعنف، ودخول رئيس الحرس الملكي الكرستالي الفيل (كرستيانو) منزوع الخرطوم تتساقط من مكانه كرستالاته النقية، وتزحف حول جرحه قطرات سوداء يعرف الجميع معناها. فقط القليل من الوقت وينفجر فيهم لينقل لهم الوباء. ارتبك الحضور بشدة، وبدؤوا بالركض في الاتجاه المعاكس. إلا أن بعض العاجزين منهم ظلوا في أماكنهم يرتعشون من الرعب.

قال رئيس الحرس الملكي الكرستالي الفيل (كريستيانو) مطمئنًا: لا تقلقوا من انفجاري؛ فهذا لا معنى له الآن. لقد سقطت جميع الممالك السطحية في يد الممالك الجوفية. لقد دخل الملك (الأسود) والملك (الأحمر) القصر الكرستالي بعد أن دمرا المملكة، وقتلوا شعبها. إنها لحظات ويصل موكب الملوك الخمس إلى هنا.

لم يكد ينهي كلامه حتى اقتحم الملوك الخمسة المكان بمعية وزرائهم ورؤساء حرسهم الملكي، وأطاح سيف الوزير (بيترو) وزير المملكة النفطية بالفيل (كرستيانو) رئيس الحرس الملكي الكرستالي، ليرتطم بالحائط ويتحطم بصوت مخيف.

تقدّم الملك (الأسود) متخطيًا الجميع حتى وقف بقامة شامخة أمام الملك (كرستال) وقال بتشفٍّ: أتمنى ألا أكون قد تأخرت عليك. فقط أربع دقات على ما أعتقد. سعيد بأني أبررت بوعدي.

شدّ الملك (كرستال) قامته، ثم وقف أمامه بتحد، وقال: يبدو أنك صدقت في كل شيء، ولكن ما أراه الآن يبدو ناقصًا.

سأله الملك (الأسود) باهتمام: وما هو الذي ينقص المشهد؟

أجابه الملك (كرستال) بهدوء: يفقد المشهد جزءان.

ثم أخذ يَعُدّ، وهو يكمل: الأول ينقص ماجد ورفيقيه الذين قمت باختطافهم لتتحقق النبوءة بأن من يملك الشاب المختار يحقق النصر. أما الثاني فهو تحويل رفقائك الأربعة لمسوخ مكوّنة من بلوراتهم مختلطة بقطرات نفطك الخام.

صرخ الملك (الأحمر): ماذا تعني بكلامك؟

رد الملك (كرستال) بهدوء: إن كل ما حدث شاهدْتَه في رؤى ماجد. الشاب الذي اختطفه الملك (الأسود) مع رفيقيه. ولأن رؤى ماجد حقيقية، فأنا أتساءل عن بقية المشاهد.

سأله الملك (الأسود) ببرود: ومن قال أنها حقيقية يا هذا!؟

أجابه الملك (كرستال) بهدوء: لأن تلك الرؤى هي سلاح ماجد الذي تحدثتْ عنه النبوءة.

صرخ الملك (الأصفر): ما هذا الذي نسمعه!؟

رد الملك (الأسود) بهدوء: إنه يكذب بالطبع. دائمًا ما يكذب المهزوم ليحاول النيل من فرحة المنتصر. ثم من هو ماجد ورفيقاه الذين يتحدث عنهم؟ وأين هم؟

ما إن أنهى كلمته حتى انشقت الأرض تحت قدميه، فسقط الجميع أرضًا.

* 27 *

دوامة من الألوان الفسفورية تنطلق بسرعة خارقة -حتى أنها تختفي من فور ظهورها- في الممرات الدودية، تقفز بين الثقوب الدوّارة متجهةً صوب القصر الكُري المركزي، مقر اتحاد الممالك الكُرية. إذا استطعت أن تبطئ الزمن -كما تقول النسبية أننا نستطيع- ستجد الكوخ القرنفلي يدور حول محوره بسرعة، ومندفعًا للأمام بسرعة أكبر، كأنه حفَّار صغير أو رأس شينيور (بنطة). بداخله جلس الرفيقان في حجرة الشاشات التي أُلحقت بالكوخ حديثًا، والتي تنقل مشاهد ما يحدث في ممالك العالم. ست عشرة شاشة تعرض كل منها مملكة، إلا واحدة تعرض ما يدور في القصر الكُري المركزي.

قال أمجد بضيق: لقد دُمِّرت ممالك سطح الكرة بشكل بشع! يا لها من قطع متمردة وحشية مدمرة! ضاع تعبي بحماقاتهم!

أصدر ماجد صوت اعتراض، فالتفت له صديقه، فقال: كل ما حدث طبيعي أيها المأفون! إنه الظلم الذي كُتِب عليهم منذ أن صممتهم. لقد استغلتْ ممالك السطح السبع مكانها وعددها لتفرض سياسة الظلم والتجبر على الممالك الجوفية؛ ظنًّا منها أنه سيدوم إلى الأبد، ولكن من قال هذا!؟ إن دولة الظلم ساعة، ودولة الحق لقيام الساعة.

ثم عاد بجسده للخلف لحظة، ثم بدأ يهتز كالبندول، وهو يكمل: ولذلك لك أن تتخيل شعوبًا مظلومة محرومة معذبة تُمسك بزمام القوة لأول مرة! تضع السيف على أعناق من ظلموها. إن سنوات الظلم وبشاعة القهر الذي شعروا به دفعهم لتدمير المستبدين، الظالمين، من عاملوهم كعبيد. أنا لا ألومهم على الإطلاق؛ فهذا ما جنتْهُ الممالك السطحية من جرّاء تجبرهم.

هز أمجد رأسه مؤيدًا. ساد الصمت لبرهة، ثم قال أمجد: لا عددك ولا عتادك ولا تقدمك يكفل لك الخلود؛ فقط العدل يوفّر لك ذلك. ربما أمكنك أن تطيل عمر ممالك الظلم، ولكنه وقت مشوب بالخوف والقلق يعلق على صدره سؤالًا وحيدًا (متى سيثور المظلوم؟). إنها حياةٌ شاقة سيئة خالية من المتعة. بينما العدل يغمرك بالأمان والهدوء والسكينة والسلام النفسي.

ابتسم ماجد بكسل، ثم قال: «حكمتَ، فعدلتَ، فأمنتَ، فنمتَ يا عمر».

قطع عليهم جلستهم الهادئة، والتي تناقض ما يدور في العالم الكُري، تَوقُّف الكوخ على بعد ياردات من النفق الأخير المؤدي للقصر الكُري المركزي. توقفٌ غير مفهوم للوهلة الأولى، دفع أصابع أمجد للعبث بالمكعبات البراقة الموجودة أسفل الشاشات، لتتحول مشاهد الدمار والصراع الخمس عشرة إلى مشهد واحد للممر أمام الكوخ.

فتح أمجد عينيه بذهول، بينما زوى ماجد بين حاجبيه في تفكير؛ فأمام أعينهم وقف ستة أشخاص لا يفترض تواجدهم في هذا المكان.

رفع الستة أشخاص بصرهم تجاه قمة الكوخ مبتسمين بثقة، ثم تقدموا إلى باب الكوخ، وطرقه أحدهم بوقار. ذهب ماجد لفتح الباب، بينما سار خلفه صديقه بآلية مدهوشًا. دخل الجميع بهدوء، انتظروا أن يرحب بهم أحد، أو يدعهم للجلوس، ولكنه انتظار بلا جدوى كما يبدو، فتوجهوا صوب المقاعد الموجودة بردهة الكوخ، ثم جلسوا وعلى وجوههم بسمة بشوش.

تمالك ماجد نفسه، وسألهم باهتمام: لِمَ أنتم هنا!؟ ما الذي أتى بكم إلى هنا!؟ لا يجب أن تكونوا هنا الآن!

بادهما أقربهم إليه سؤالًا بسؤال، وكان مُكوّنًا من الماء الرائق: هل ضايقك وجودُنا يا صاحب النبوءة؟

حرّك رأسه نافيًا بسرعة لتحسبه يطرد ذبابة لحوح، بينما قال أمجد: ليس هذا بالطبع. إننا نعجب من تجمعكم هنا؛ فكان يكفي حضور ثلاثتكم، وليتابع الثلاثة الآخرون ما يجري حتى لا ينفلت العيار منا، وتضيع جهودنا جميعًا!

ابتسم أبعدهم، وهو مكوّن من النار الصافية، ثم قال: لا داعي لانفصالنا؛ فقد تم ما أردتم باستحداثنا في هذا العالم. لذلك بقيت آخر خطوة.

سأله أمجد بلهفة: ما هي؟

أجابه آخر تطير كلماته محملة برياح قوية: أن نعلن عن وجودنا للملوك الاثني عشر.

* 28 *

لنعد إلى القصر الكُري الذي انشقت أرضه بقوة طرحت الجميع أرضًا، ليخرج الكوخ القرنفلي من جوفها. استقر الكوخ بعد لحظة؛ فقد كانت اهتزازاته القوية لاتزال ترج الأرض حتى بعد خروجه. اعتدل الملوك الاثنا عشر، وتقدم القادرين منهم نحو باب الكوخ، بينما ساعد الوزراء المصابين على الجلوس في مكان يتيح لهم المشاهدة. ارتفع صوت ست دقات طويلة، ثم تلاها دقتين قصيرتين، وكأنه موسيقى تشريفية لقدوم وفد ملكي. انفتح الباب وخرج منه الصديقان بصحبة ستة أشخاص كل اثنين منهم من نفس المُكوِّن (ماء ونار وهواء).

ابتسم أمجد، وقال بمرح: من سأل عنا يا سادة؟ إننا هنا.

سأله الملك (الأسود) بحنق: أين رفيقكم الثالث؟

ضحك ماجد بسخرية، ثم جاوبه: لقد عاد إلى عالمنا بعد هروبنا من سجنك النفطي الغبي. أرى أنك عاقبتَ وزيرك (بيترو) على ذلك؛ فهو يميل على جانبه الأيمن بشكل أخرق. ولكن إحقاقًا للحق، إن ما حدث ليس له فيه يد.

ردّ الملك (الأسود) بقسوة: بل يستحق ما جرى له؛ فقد كان هو الأفاعي الأربعة التى أخطأتكم.

أخذت الصدمة بالحضور، غير أن صراخ الملك (الأخضر) ارتفع قائلًا: هل كنت تكذب علينا يا (الأسود)!؟ يا لك من مخادع حقير!

ضحك الملك (الأسود) بقسوة، ثم قال: ماذا كنت تظن أيها الأبله!؟ هل تراني جننتُ لأشرككم في الزعامة وحكم الممالك الاثني عشر!؟ لقد كنتم كقطع الشطرنج أحركها كما أشاء لأكسب. أنتم جزءٌ من جيشي الذي حاربت به لأفوز وحدي. وها قد حققت مأربي، ولم يعد لكم قيمة.

هاج الملوك الأربعة (الأحمر) و(الأصفر) و(الأخضر) و(المعرق)، وحاولوا الفتك بالملك (الأسود)، لولا ضحكات جماعية مرحة أطلقها الثمان أشخاص الخارجين من الكوخ.

التفت الجميع بذهول إلى أمجد الذي قال: هذا ما تظنه أنت!

سأله الملك (الأسود) بتوحش: ماذا تعني يا فتى!؟ لقد انتصرنا وانتهى الأمر!

قال ماجد ببشاشة: أعزائي ملوك ممالك الكرة الشطرنجية الاثني عشر، دعوني أعرفكم بالسادة الحضور. عن يميني فخامة الملك (شلال) ملك المملكة المائية، وخلفه يقف وزيره (نبع).

بدأت همسات الجميع في الارتفاع، أكمل ماجد دون أن يعيرهم أي اهتمام: إلى جواره الملك (جحيم) ملك المملكة النارية، ومن خلفه وزيره (لهيب).

ثم حرَّك يده بطريقة مسرحية، وهو يقول: وأخيرًا الملك (عاصف) ملك المملكة الهوائية، ومن خلفه وزيره (ريح).

كانت الهمهمات الاعتراضية تزداد ارتفاعًا، غير أن الملك (الأسود) لم يحتمل أكثر فصرخ: ما هذا الهراء!؟ لا يوجد لدينا ممالك هوائية ومائية ونارية حتى يكون لها ملوك ووزراء! أي عبث هذا!؟

جاوبه أمجد ببرح: لم يكن وأصبح.

سأله الملك (كرستال) باهتمام: ماذا تعني!؟

جاوبه أمجد بهدوء، وهو يشرح له ببساطة كمدرس المرحلة الابتدائية عندما يبدأ بدرس جديد: لقد وجدنا أن وضع الممالك الحالي به خلل شديد أدَّى إلى نشوب تلك الحرب المقدسة، وإن كانت الممالك الجوفية على حق في استشعارها بالظلم، إلا أن الدمار الذي خلفته الحرب كان أكثر بشاعة من الكوابيس. لقد فنى كل الجنود (البيادق – العساكر) في جميع الممالك الاثني عشر، وأغلب القلاع (الطابيات)، ونصف الأحصنة، وربع الأفيال، ووزيرين خلاف المصابين. وإذا مررنا بالعمائر والقصور سنجدها خراب. مما استوجب تدخلنا لنعيد لهذا العالم توازنه، فاستحدثنا مملكتين جوفيتين هما المائية والنارية، وأخرى حول العالم الكُري سُمِّيت المملكة الهوائية. وبذلك أصبح عدد الممالك السطحية مساويًا للجوفية، ومملكة مركزية لتساعد في تحديد النصاب الفائز ببركز الزعامة.

صاح الملوك الأحد عشر فرحين، إلا أن الملك الأسود صرخ: كلا ! هذا غير مقبول! لقد انتصرتُ ومن حقي أن أجلس على كرسي الزعامة!

ضحك الملك (جحيم) وسأل متعجبًا : من قال أنك فائز يا عزيزى!؟

أكمل الملك (عاصف): كان هذا فيما مضى قبل وصولنا إلى المملكة.

ابتسم الملك (شلال): لقد اجتاحت جيوش الملك (جحيم) مناطق نفوذك لتُشعل جيوش الممالك الجوفية خاصةً النفطية منها بلهيبها ، وساعدتها جيوش الملك (عاصف) لتأجج اشتعالها وتساعد على انتشارها السريع، وأخيرًا قام جيشي بتهدئة الأوضاع.

ارتسم الذهول على ملامح الجميع، إلا الملك (الاسود)؛ فقد تجلى الغضب والحنق على محياه، فقال الملك (جحيم) بعجب: إن ما يثير الدهشة هو رفضك لما حدث بدلًا من السؤال عن عقابك يا هذا!

قال الملك (عاصف) بحزم قبل أن ينفجر الموقف أكثر: لا داعيَ لذلك الآن. كما أرى أن من حقهم أن يروا ما حدث بأعينهم أولًا .

ابتسم ماجد ، وقال بطريقة مسرحية وهو يشير لأمجد ، الذي لمس باب الكوخ فتحول لشاشة عظمى مقسمة لخمسة عشر جزءًا كل منها يغطي مملكة: يبدو أنك تحتاج إلى دليل.

أفسح ركاب الكوخ الثمانية المكان ليتحلق الجميع حول الشاشة التي تنقل لهم مدى بشاعة الحرب، ومدى صدق الثمانية.

* 29 *

ـ «وماذا حدث بعد ذلك يا أبي؟»

سأل يحيى ذو السبعة أعوام والده أحمد بفضول، ولكن قبل أن يجيبه أجابه أخوه الأكبر يونس ذو التسعة أعوام ببداهة: لقد عاد أمجد وماجد إلى عالمهم، وبدأ الملوك في إعادة بناء ممالكهم. أليس كذلك يا أبي؟

كان يونس يشبه أباه كأنه قطعة منه، حتى تعبيرات وجهه واحدة، كأن كلًّا منهما ينظر إلى نفسه في مرآة الزمن، في حين كان يحيى ذا ملامح لا تشبه والده كثيرًا، ولكنه يحوذ لغة جسد مطابقة لمثيلتها عند والده.

أغلق والدهما الكتاب، وضم طفليه إلى صدره، وقال: بالتأكيد هذا ما حدث.

سأله يحيى متحفزًا: وماذا فعلوا في الملك (الأسود)؟ هل سجنوه؟

ابتسم والده وهو يقول: بل سامحوه، وأعطوه فرصة جديدة ليكون شخصًا جيدًا.

صفَّق يحيى مبرح، وهو يقول: هذا جيد.. أليس كذلك؟

هز والده رأسه إيجابًا.

سأله يونس باهتمام: وهل فازوا بمسابقة (رهف) للألعاب الواقعية؟

اندفع يحيى يجيبه: بالتأكيد يا يونس! أليس كذلك يا أبي؟

ضحك الأب مبرح، ثم قال: بلى يا يحيى، والآن هيا إلى النوم. لقد تأخرنا كثيرًا الليلة.

وضعهما والدهما في فراشهما، ودثرهما، ثم قبّلهما متمنيًا لهما ليلة سعيدة. أطفأ الأنوار، وخرج مغلقًا الباب. اعتدل يونس جالسًا، فلحق به يحيى قفزًا إلى فراشه، فأفسح له الأول مكانًا بجواره، ودثّره وهو يقبله.

قال يحيى: أتعلم يا يونس؟ إني أحب أن أكون الملك (شلال) الذي أنهى المعركة، وأعاد الهدوء إلى الممالك.

ثم التفت إليه، وسأله بفضول: ماذا عنك أنت؟

ضحك يونس وقال: أريد أن أكون مثل مؤمن المحب لأصدقائه، الذي ضحى بكل شيء في سبيل إنقاذ رفيقه.

سمع الصبيان صوت الباب يُفتَح، فانزلقا تحت الغطاء متظاهرَيْن بالنوم. تقدمت أمهما نحوهما، وعدَّلت من الغطاء حولهما، ثم قبلتهما ورحلت، وأغلقت الباب بهدوء.

عادت لزوجها الممسك برواية (شطرنج)، فابتدرته سائلةً: لقد أحب الولدان القصة كثيرًا. أليس كذلك؟

هز رأسه مجيبًا: أجل، وأنا أيضًا.

سألته باهتمام: عن ماذا تدور أحداثها؟

أعطاها الكتاب وهو يقول: يمكنكِ قراءتها إن أحببتِ.

ضحكتْ وهي تُعيد رأسها للوراء، ثم قالت وهي مسترخية: بل أحب أن تقرأها لي كما فعلت مع الصبيين.

ضحك أحمد كثيرًا، ثم اعتدل متخذًا وضعية الراوي، ثم بدأ يقرأ الرواية من جديد بصوت رخيم.

تمت،،،

23 يوليو 2017

صفاء حسين العجماوي

الشخصيات والممالك

* البشر *

1* (أمجد): مبرمج ومصمم لعبة الشطرنج، وهو طالب جامعي.

2* (ماجد): صديق أمجد، طالب جامعي حاصل على المركز الأول في لعبة الشطرنج على مستوى الجامعات المصرية، أول من دخل عالم الممالك الكُرية.

3* (مؤمن): صديق ماجد وأمجد، طالب جامعي دخل اللعبة مع أمجد لإنقاذ ماجد من الأهوال التي خاضها بها.

4* (أحمد): والد الطفلين يحيى ويونس.

* الممالك *

[الممالك السطحية]

1* المملكة الكرستالية:-

زعيمة ممالك العالم الكُري، وقائدة ممالك سطح الكرة السبع.

{ الملك كرستال - الوزير كريس - رئيس البيمارستان الفيل كريستي - رئيس الحرس الملكي كرستيانو }

2* المملكة اللازوردية:-

{ الملك عَوهَق - الوزير لازور }

3* المملكة الفيروزية:-

{ الملك فيرو - الوزير روزي }

4* المملكة البلاتينية:-

{ الملك بلات - الوزير بلاتي }

5* المملكة الكورتيزية:-

{ الملك مرو - الوزير كوارت }

6* المملكة اللؤلؤية:-

{ الملك لؤلؤ - الوزير لؤي }

7* المملكة الماسية:-

{ الملك أداماس - الوزير أدامو }

[الممالك الجوفية]

1* المملكة النفطية:-

زعيمة ممالك جوف الكرة في هذه الحرب.

{ الملك الأسود - الوزير بيترو }

2* المملكة الياقوتية:-

{ الملك الأحمر - الوزير ياقوت }

3* المملكة الزمردية:-

{ الملك الأخضر - الوزير سُتُر }

4* المملكة الكهرمانية:-

{ الملك الأصفر - الوزير كهرو }

5* المملكة العقيقية:-

{ الملك معرق - الوزير عقق }

[الممالك المستحدثة]

1* المملكة النارية:-

{ الملك جحيم - الوزير هيب }

2* المملكة المائية:-

{ الملك شلال - الوزير نبع }

3* المملكة الهوائية:-

{الملك عاصف - الوزير ريح }